وسلاحه البكا

اوابک یاولدی الحبیب

وسلاحه البکاء

و سلاحه البکاء

کمال السید

بسم الله الرحمن الرحيم

و سلاحه البکاء او ابک یا ولدی الحبیب

کاتب:

کمال السید

نشرت فی الطباعة:

انصاریان

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
و سلاحه البکاء او ابک یا ولدی الحبیب ----- ۷
اشارة ----- ۷
و سلاحه البکاء (۰۱) ----- ۷
و سلاحه البکاء (۰۲) ----- ۸
و سلاحه البکاء (۰۳) ----- ۹
و سلاحه البکاء (۰۴) ----- ۹
و سلاحه البکاء (۰۵) ----- ۱۰
و سلاحه البکاء (۰۶) ----- ۱۰
و سلاحه البکاء (۰۷) ----- ۱۱
و سلاحه البکاء (۰۸) ----- ۱۲
و سلاحه البکاء (۰۹) ----- ۱۲
و سلاحه البکاء (۱۰) ----- ۱۳
و سلاحه البکاء (۱۱) ----- ۱۴
و سلاحه البکاء (۱۲) ----- ۱۵
و سلاحه البکاء (۱۳) ----- ۱۵
و سلاحه البکاء (۱۴) ----- ۱۶
و سلاحه البکاء (۱۵) ----- ۱۷
و سلاحه البکاء (۱۶) ----- ۱۸
و سلاحه البکاء (۱۷) ----- ۱۸
و سلاحه البکاء (۱۸) ----- ۱۹
و سلاحه البکاء (۱۹) ----- ۲۰
و سلاحه البکاء (۲۰) ----- ۲۰

و سلاحه البکاء (۲۱) ----- ۲۲
و سلاحه البکاء (۲۲) ----- ۲۲
و سلاحه البکاء (۲۳) ----- ۲۳
و سلاحه البکاء (۲۴) ----- ۲۴
و سلاحه البکاء (۲۵) ----- ۲۵
و سلاحه البکاء (۲۶) ----- ۲۶
و سلاحه البکاء (۲۷) ----- ۲۷
و سلاحه البکاء (۲۸) ----- ۲۸
و سلاحه البکاء (۲۹) ----- ۲۸
و سلاحه البکاء (۳۰) ----- ۲۹
و سلاحه البکاء (۳۱) ----- ۳۰
و سلاحه البکاء (۳۲) ----- ۳۱
و سلاحه البکاء (۳۳) ----- ۳۱
و سلاحه البکاء (۳۴) ----- ۳۲
و سلاحه البکاء (۳۵) ----- ۳۳
و سلاحه البکاء (۳۶) ----- ۳۳
و سلاحه البکاء (۳۷) ----- ۳۴
و سلاحه البکاء (۳۸) ----- ۳۵
و سلاحه البکاء (۳۹) ----- ۳۶
و سلاحه البکاء (۴۰) ----- ۳۶
و سلاحه البکاء (۴۱) ----- ۳۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۳۸

و سلاحه البکاء او ابک یا ولدی الحبیب

اشارة

سرشناسه : سید، کمال، - ۱۳۳۶

عنوان و نام پدیدآور : وسلاحه البکاآ او ابک یا ولدی الحبیب: روایه/ کمال السید

مشخصات نشر : قم: موسسه انصاریان للطباعه و النشر، ۱۴۲۵ق. = ۲۰۰۴م. = ۱۳۸۳.

مشخصات ظاهری : ص ۱۵۹

شابک : ۹۶۴-۴۳۸-۱۶۰-۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتاب حاضر با عنوان" و سلاحه البکاآ اوابک یا ولدی الحبیب "نیز منتشر شده است

یادداشت : چاپ چهارم

عنوان دیگر : ابک یا ولدی الحبیب

عنوان دیگر : و سلاحه البکاآ او ابک یا ولدی الحبیب

موضوع : حسین‌بن علی(ع)، امام سوم، ق۶۱ - ۴

موضوع : واقعه کربلا، ق۶۱

رده بندی کنگره : BP۴۱/۴س۹و۵ ۱۳۸۳

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۳

شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۳۵۳۴۲

و سلاحه البکاء (۰۱)

بسم الله الرحمن الرحیم لاحت من بعید «ثنیات الوداع»، و القافلة المحملة بکنوز کسری تشق طریقها بجلال تحرسها خیول و دروع. کانت الشمس قد بزغت کأنها تستقبل العائدین؛ أو لتری فتاة حملتها الأقدار من أرض النار، کانت تمعن فی الفرار ولکن دون جدوی. اقترب صحابی أراد أن یحادثها... أن یقول لها کان سلمان یعیش فی المدینة و کان رجلا من أهل البیت، کان یعیش فی أرضکم ولکنه جاء یبحث عن النور ففر من النار. تمتم أسفا و ود لو کان سلمان حاضرا، تمنی لو أنه قد تعلم منه لغة أهل تلک الدیار. هبت نسائم طیبة، فتذکر حادثة قدیمة لن ینساها یوم وصل رسول السماء أرض طیبة فصدحت الفتیات یغنین للبدر الذی أشرق فی سماء المدینة. حانت منه التفاتة فألفی بنت کسری حزینة لکأن وجهها المضیء [صفحه ۴] تغمره غیوم و غیوم. تساءل فی نفسه؛ تری ماذا سیکون مصیرها انها سبیة علی کل حال. هذا هو منطق الحرب. کان الموکب یقترب من المدینة. تمایلت سعفات النخیل، وهبت نسائم طریة مشبعة برائحة الخضار. تذکرت بنت آخر ملوک ساسان قصورها المنیفة، و تعجبت أن تکون هذه المدینة عاصمة الدولة التی لا- تقهر! کیف هزم هؤلاء الحفاة العراة جیوش کسری حتی لم یترکوا ل (یزدجرد الثالث) مکانا فی خراسان و لا- فی نیسابور و لا سرخس و لا طوس، و ها هی الأنباء تطیر فی الآفاق عن عبورهم «باب الأبواب» فی بلاد الخزر تأوهت بحزن: - آه بیروز باد هرمز. المسجد یکتظ بالناس، و قد أشرفت عذاری المدینة یتطلعن الی ابنة الملوک، الی جمال فارسی یختطف القلوب و الأبصار. کانت الفتاة تدرک ما سیحل بها بعد قلیل سوف تکون جاریة فی بیت طینی من بیوت المدینة. تجمعت الدموع فی عینیها کغیوم

ممطرة، راحت تتصفح الوجوه المحدقة بها... التقت عيناها وجها أفتر عن ابتسامة أراد أن يبدد عنها خوف غامض فقال: - چه نام دارى أى كنيزك؟ دهشت لهذا الرجل الذى يتحدث بلغتها.. [صفحه ۵] أجابت باستحياء: - شاه زنان. أراد الرجل الذى يشبه الأسد أن يمنحها اسما جديدا فقال: - شهربانو. ابتسمت الفتاة و شكرت فى أعماقها الرجل لهذه الهدية. ما أجمله من لقب... سيدة المدينة. سأل الرجل و قد أراد أن يكتشف ما تعلمته من الزمان: - هل حفظت عن أبيک شيئا؟ أجابت بلوعة: - كان يردد قبل مصرعه: اذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، و اذا انقضت المدة كان الموت فى الحيلة. ابتسم الرجل الذى تنفجر الحكمة من جوانبه: - ما أحسن ما قال أبوک، تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف فى التدبير. ساد الصمت و وقفت الفتاة تنتظر النهاية مستسلمة، ها هى الأقدار ترسم الطريق من قمم الجبال الشاهقة الى الهاوية! من المجد و الملک الى السبى و العبودية. كانت على وشک أن تعرض فى الأسواق بعد أن أمر الخليفة بذلک. و قبل أن تخطو باتجاه النهاية ألقت نظرة رجاء على الرجل لعله يشتريها. [صفحه ۶] هتف الرجل معترضا، رغم غضب الخليفة: - لا يجوز بيع بنات الملوک. تذكر الصحابة كلمات قالها النبى يوم وقعت سفانة ابنة حاتم فى الأسر: ارحموا عزيز قوم ذل. لقد نسيها الجميع و ها هو أخو النبى يذكرهم بعد تطاول الأيام. - و ما هو الحل اذن؟! تساءل الخليفة حنقا. - أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين يتزوجها و يحسب مهرها من عطائه. تصاعدت صيحات الاستحسان من زوايا المسجد كانوا بشوق الى ملكة فارس، ترى من ستختار، انها على كل حال تمثل امة كانت تحكم نصف العالم ذات يوم. و راحت ابنة كسرى تبحث عن رجل تلوذ به، تتأمل الوجوه تبحث عن الانسان.. تبحث عمن يهبها رحمة الأب و دفء الام. و استقرت عيناها على شاب أقنى الأنف كأن عينيه نافذتان تطلان على عوالم تزخر بالنور و الصفاء و الحرية؛ فأشارت اليه. هتف بعضهم اعجابا: - ما أحسن ما اختارت، و هل هناک من هو أشرف من سبط محمد و ابن سيد العرب. قال سيد العرب لابنه و قد تذكر نبوءة سمعها من رسول السماء: - ليلدن لک منها صبى هو خير أهل الأرض. [صفحه ۷]

و سلاحه البكاء (۰۲)

كانت ترنو الى وليدها بعينين مجهدتين، أضنتها آلام المخاض، ها هو يغفو الى جانبها كقمر صغير، كوردة نسرين تتفتح للربيع. كانت ترنو اليه بحزن. نداء ما يضج فى أعماقها كأنه يدعوها للرحيل. الرحيل الى عوالم بعيدة. فتح الصبى عينيه كأنه يبحث عن أمه؛ هز المهد بقدمه الصغيرة. تجمع خوف برىء فى عينيه، و طافت وجهه المستدير غيمة حزينة و انبعث صراخ طفولى فيه نشيج المیازيب فى مواسم المطر. كان الصوت يخترق أذنيها... يدوى فى أعماقها يفجر ينبوع الامومة.. ولكن الجسد الخائر لم يقو على الحراک، و قد أوشكت الروح على الرحيل و الصبى يصرخ و يصرخ كأنه يتشبث بروح وهبته الروح. تمتمت بأسى: - ابک يا ولدى الحبيب. ثم أغمضت عينيها الواهنتين لتغفو بسلام؛ فيما ظل الصبى يبكى. [صفحه ۸] كانت السماء تسح مطرا ناعما، و كأن الغيوم تبكى بصمت، و امتزج بكاء الصغير مع نشيج المیازيب. لكأن الأقدار رسمت لهذا الصبى طريقا منقوعا بالدموع مضمخا بحزن سماوى ورثه أجداده عن آدم يوم قتل هابيل. و تمر السنون، و التاريخ يشعل الحوادث المدماة هنا و هناک. تدفقت دماء جده فى المحراب قانية تلون أفق التاريخ، حتى اذا مضت خمسون سنة على الهجرة أشعل التاريخ حادثة فى منزل عمه سبط النبى و ريحانته. كان الحسن يتلوى من الألم.. آلام رهيبة كخناجر تغوص فى قلبه تمزق كبده. وقف على الى جانب أبيه يراقب عمه بذهول. هتف الحسين بمرارة: - ألا تخبرنى بمن دس اليک السم؟ تمتم الحسن و كأنه يحدث نفسه: - لقد سقيت السم مرارا فلم يفعل مثل هذه المرة. شعر بأن نارا مجنونة تشعل الحرائق فى أعماقه، ماذا يقول لأخيه؟ أنه يعرف من دس السم، هناک فى بلاد الشام رجل من طلقاء جده يخلط السم بالعسل... سلاح جديد يستخدمه منذ سنين بعد أن وضعت الحرب أوزارها. رجل تحوطه سيوف و قلاع؛ و ما «جعدة» الا ضحية مرض [صفحه ۹] و بيل، عقدة ورثها قابيل ابناءه. و أغمض الحسن عينيه ليفتحهما فى عالم آخر... عالم ملىء بالمسرات الخالدة. و مضى التاريخ يشعل الحوادث، مات «ابن كلدة» طبيب العرب و كان قد أخذ الطب عن أهل فارس، و ماتت عفراء و كانت من أهل البادية

یتغنون بقصة حبها العذری لابن حزام؛ و ماتت میمونة و کانت امرأة و هبت نفسها للنبی. مضی التاریخ یشعل الحوادث، ارتفعت فی سماء «الفسطاط» بمصر أول منارة فی الاسلام و الجیوش الاسلامیة تدق بعنف أبواب القسطنطینیة و استشهد أبوأیوب فدفن تحت أسوارها. و مات سعد آخر المهاجرین و ترک بقصره «العقیق» ذهبا و فضة و ابنا سیسل سیفه لمحو التاریخ الهجری. [صفحه ۱۰]

و سلاحه البکاء (۰۳)

دار الزمن دورته و أطل عام ستین، عام فیه یضام الناس و فیه یعصرون، مات معاویة.. و قد حول المنبر الی عرش فأورثه لیزید، کان یزید فی «حوران» یقضی وقته فی ملاعبة قرده، مستمتعا بکلاب الصید التی ملأت الجو نباحا کشرطة أغضبها فرار ثائر کانت قد ألقت القبض علیه. دخل قصره و قد بدت عیناه جمرتین متوقدتین. ألقی نفسه علی السریر و أشار الی الحاجب اشارة عرف مغزاها علی الفور. دخلت جاریة رومیة تحمل ابریقا فیه خمرة معتقة، برقت عیناه شهوة و کادت نظراته تفترس مفاتنها. کان الحاجب یصغی من وراء الأبواب الی ضحکات خلیعة. غرقت «حران» فی برکة الظلام، توثبت شیاطین الجن و الانس و تحفزت النمور المختبئة، حطمت قضبان الصدور، و راحت تعربد. یزید یتقلب فی فراش نسجته دیدان القز، و الی جنبه تمدد قبیس فاغرا بوزه ببلاهة. [صفحه ۱۱] و فی عالم الأشباح رأی أنهارا من دم تتدفق ما بین «الشامات» و بین «الحیرة» و رأی جماجم و ضحایا؛ اجسادا بلا رؤوس و رؤوسا بلا أجساد، و رأی نفسه یخوض أمواج الدم، یغرق فی برک حمراء حمراء. هب من نومه مذعورا، و قد توقدت عیناه فبدت کجمرتین أو کوتین مفتوحتین علی جحیم مستعرة. فجأة دخل أحدهم یحمل معه کتابا فأوجس یزید خیفة کانت سحنة الرجل بلا لون؛ فقد حار هل یظهر حزنه بموت معاویة أم یتظاهر بفرح من أجل یزید خلیفة للمسلمین جدید. رقص النمر المتوثب فی الأعماق... وجد نفسه طلیقا حرا. ها هی الدنیا ترکع عند قدمیه، و الرجال تحنی هاماتها له، سیکون الآمر الناهی من شواطیء بحر الخزر الی عدن. فجأة قفز اسم الحسین الی الذاکرة. هتف متوعدا: - هذا الشجی الذی یعترض حلقی. أصدر یزید أول أوامر الخلافة: - الی دمشق. [صفحه ۱۲]

و سلاحه البکاء (۰۴)

کانت أزقة المدینة غارقة فی اللیل، و بدت النجوم کقلوب واهنة تنبض من بعید، و قد جنح القمر المثلوم للمغیب فبدا کوجه مکدود أرهقه السهر. کان رجل یمضی قدما یشق طریقه فی الظلام، و فی رأسه فکرة واحدة؛ ان یبلغ الحسین بدعوة «الولید» أمیر «المدینة» و حاکمها المطاع. أفاق علی علی صوت خبط للباب و أدرک انها قبضة شرطی جاء بأمر ما. قال الحسین و هو ینظر الی النجوم البعیدة: - رأیت فی عالم الأطیاف منبر معاویة منکوسا و قد شبت النار فی قصره... و ما أظنه الا هالکا، فجاءوا یأخذون البیعة لیزید. أمسک سبط محمد قضیبا لرسول الله، فقال رجل هاشمی: - قد یغتالونک، فالظلام یخفی سیوفا و خناجر. أجاب ابن‌محمد: [صفحه ۱۳] - لا تخش شیئا. أنتم ثلاثون رجل. تأهبوا عند الباب، فاذا سمعتم صوتی قد علا، فاقتحموا. جلس الحسین قبالة الولید، و کان ابن‌الزرقاء ینظر بحقد و لؤم... تمتم الولید و کأنه یلوک الکلمات بصعوبة: - کان معاویة سور العرب... قطع الله به الفتنة و ملکه علی العباد وفتح به البلاد، الا أنه قد مات فخلف یزید من بعده و هو یریدک أن تبایع. أجاب الحسین: - مثلی لا یبایع سرا.. فاذا دعوت الناس غدا دعوتنی معهم. أطرق الولید و قال: - صدقت أباعبدالله انصرف الی منزلک. انبری مروان بخبث: - احبسه أیها الأمیر حتی یبایع أو تضرب عنقه. هتف الحسین بغضب: - یا ابن‌الزرقاء أنت تقتلنی أم هو؟ و أردف و هو یخاطب «الولید» معلنا صرخة مکبوتة منذ عشرین سنة: - أیها الأمیر: انا أهل بیت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائکة بنا فتح الله و بنا، یختم و یزید شارب للخمر قاتل للنفس المحرمة، و مثلی لا یبایع مثله. [صفحه ۱۴] حاول الولید أن یتفادی العاصفة بمثلها، فالتمعت خناجر فی الظلام و اقتحم رجال دار الامارة، ولاذ ابن‌الزرقاء مرعوبا خلف أمیره. غادرت العاصفة مجلس الأمیر.. ترکته خاویا علی عروشه، و أطل «مروان» کجرذ یخرج رأسه بحذر: - عصیتنی و لن تحصل علی مثل هذه الفرصة. - و بخ غیری یا مروان. أتریدنی أن اقتل سبط محمد؟! - اذن لن

یبایع حتی تتساقط القتلی. هز الولید رأسه دون أن ینبس ببنت شفة. ربما کان یفکر بالأفق المضمخ بلون الدماء، أنه یعرف یزید... ذلک النزق المتهور. أو لعله کان یعقد مقارنة بین مروان و أمه الزرقاء، و کان بیتها تخفق فوقه الرایات حیث یعبر الرجال مستمتعین. و بیت الحسین حیث منزل فاطمة مختلف الملائکة و أثر جبریل. یالسخریة القدر! و عندما أوی الولید الی فراشه همست زوجته بمرارة: - کیف تسبه؟! - هو بدأنی بالسب أول مرة. - أتسبه و تسب أباه ان سبک. أغمض عینیه المحتقنتین و تمتم بندم: - لن أفعل ذلک أبدا. [صفحه ۱۵]

و سلاحه البکاء (۰۵)

هجعت العیون، و أوت الکائنات الی مضاجعها فاللیل أعشاش دافئة، و منازل هادئة، و عالم تطیر فیه الأرواح تحلق بعیدا فی دنیا شفافة، تتسلل من ثیابها السفلی، تخلع أهابها الجسدی لتحلق فی عوالم الذر؛ و لو أصخیت السمع تلک اللیلة لسمعت خطی هادئة تتخذ سمتها نحو قبر یضم رسول السماء الی الأرض، و لو دققت النظر لرأیت رجلا أقنی الأنف أشمه فی عینیه تتألق النجوم أنفاسه کأنفاس الفجر فی لحظات الفلق. کان السبط یشق طریقه فی أزقة المدینة الغافیة، فهی لا تصحو علی صوت خطاه، انها لن تستیقظ الا علی سنابک خیل مجنونة، ها هو یتخذ سبیله نحو جده ینوء بحمل أمانة أبت السماوات حملها و الأرض. أدرک علی ما یموج فی أعماق أبیه من هموم، منذ زمن و هو یصغی الی استغاثات تأتی من بعید... من أرض السواد، من مدینة کانت ذات یوم عاصمة جده، ها هی الیوم تستیقظ... تتأوه من سیاط [صفحه ۱۶] الجلادین، تبحث عن رجل منحها المجد. کان علی فی رکن من حجرة طینیة متوجه بکلیته صوب أول بیت وضع للناس، قلب یخفق کما تخفق النجوم بضوئها الأزرق. تنساب الکلمات من بین شفتیه کنهر هادیء تترقرق فی سمع الکون، لحظات یلتحم فیها الانسان بالعالم الأکبر فی لحظة اکتشاف کبری حیث تنحسر الأشیاء عن ظاهرها الخادع، تبرز الحقیقة ناصعة أن لا شیء سوی الله.. الله وحده. الکلمات الانسانیة تتدافع کأمواج متلاحقة باتجاه عوالم لا نهائیة.. وحده صوت الانسان یعبر عن الحقیقة فی صمت اللیل. - اللهم یا ملاذ اللائذین... و یا معاذ العائذین... و یا عاصم البائسین... و یا مجیب المضطرین... و یا جابر المنکسرین... و یا مأوی المنقطعین و یا ناصر المستضعفین... و یا مجیر الخائفین... و یا مغیث المکروبین ان لم أعذ بعزتک فبمن أعوذ، و ان لم ألذ بقدرتک فبمن ألوذ؟ ما أجمل أن یلتحم الانسان بمسیرة الکون... و ما أسمی أن یکتشف طریقه الی الله... و ما ألذ لحظات الحب عندما تعرف النفس بارئها فتحلق بین النجوم و تصطف مع الملائکة تسبح بحمد ربها... فاذا الکون محراب عبادة و المجرات محطات رحیل. الرواحل تتخذ طریقها صوب مکة و صوت له نفحة السماء یخترق آذان اللیل: [صفحه ۱۷] - فخرج منها خائفا یترقب قال رب نجنی من القوم الظالمین. الصحراء مد البصر و الطریق الذی رسمته القوافل منذ عشرات السنین یتألق فی ضوء القمر کأنه یشیر الی مکة مهوی الأفئدة، عاد الصوت الملائکی یعید الی الأذهان قصة الشرید الذی اخترق صحراء سیناء وحیدا: - و لما توجه تلقاء مدین قال عسی ربی أن یهدینی سواء السبیل. - الی أین یابن محمد؟ - الی مکة. - ألم یهاجر جدک الی یثرب بحثا عن وطن... عن أرض یعبد فیها الله وحده؟ - أجل و یثرب فی قبضة الطلقاء.. فی أیدی أعداء الأمس. - کیف عبروا الخندق... - لقد ردم الخندق فی «السقیفة»... بعد أن أغمض النبی عینیه. [صفحه ۱۸]

و سلاحه البکاء (۰۶)

یا مکة یا مدینة مترعة بالحزن، لم تطل فرحتک سوی عدد سنین یوم تهاوت الأصنام أنقاضا عند جدران البیت العتیق، جاءت أصنام اخری.. أصنام من طین.. من صلصال من حمأ مسنون. و ها هو حفید محمد جاء لیحطم الأوثان الآدمیة... ولکن کیف و یزید عجل له خوار.. و قد عکفت الامة علیه فلا صوت و لا رأس یرتفع.. لیقول: لا.. لماذا یدور الحسین فی شوارع المدینة... یطوف حول الکعبة العظیمة... یدور حول البیت. لماذا یسعی بین الصفا و المروة یبحث عن نبع ماء مفقود، فمکة عادت من جدید واد غیر ذی زرع... لم

یبکی عند «خدیجة» فالعام عام حزن و قد غاب أبوطالب و أضحی محمد وحیدا یبحث عن أنصاره لیهاجر. و جاء رجل من أقصی المدینة یسعی: - یا حسین عجل بالخروج فابن العاص قادم و معه أمر [صفحه ۱۹] باغتیالک. - لا محیص عن یوم خط بالقلم... رضا الله رضانا أهل البیت... ألا- من کان موطنا علی لقاء الله نفسه فلیرحل معی، فانی راحل. - الی أین یا أباعبدالله؟ - الی صحراء بین النواویس و کربلاء. قال رجل مشفق: - امکث فی مکة فأنت سید الحجاز. - لا أرید أن تستحل حرمة البیت بقتلی؟ - و هل یجسرون علی قتلک. - أجل لیعتدن علی کما اعتدت الیهود فی السبت. و قال أخوه من أبیه: - کیف تثق بأهل الکوفة و قد غدرت بأبیک و أخیک؟ - أخشی أن یغتالنی یزید فی الحرم فتستباح حرمة البیت. و عندما استوی الحسین علی ناقته، قال أخوه و قد أخذ بزمامها: - لا تأخذ النسوة معک اذن. قال الحسین و هو ینظر الی الافق المضمخ بحمرة الشفق: - شاء الله أن یراهن سبایا. ثمانیة أیام مضین من شهر ذی الحجة، غادرت قافلة عجیبة دیار مکة... کانت تسیر علی هون و بدت الجمال کسفن تبحر فی صحراء متموجة ترید أن تحدد للتاریخ وجهة جدیدة. [صفحه ۲۰] النجوم تتألق فی سماء بدت کعباءة عربیة غارقة فی الکحل، أشرق هلال المحرم فبدا فی غمرة الظلام و امتداد الرمال ابتسامة مکلوم، أو زورق یودع بحیرة رائقة. سر ما شد القافلة الی هذه البقعة من دنیا الله، لکأنما تسمرت حوافر الخیل و برکت النیاق کسفن ألقت مراسیها فی مرفأ مهجور. شعر علی بالاعیاء یسری فی جسده حتی سلبه القدرة علی النهوض، ولکنه جرجر نفسه بعناء الی خیمة جلس فیها الحسین یرسم لأصحابه طریقا عجیبا. تمتم الحسین آسفا: - الناس عبید الدنیا، والدین لعق علی ألسنتهم یحوطونه ما درت معایشهم. و سکت هنیهة و أردف: - قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون.. و ان الدنیا قد تغیرت و تنکرت و أدبر معروفها و لم یبق منها الا صبابة کصبابة الاناء و خسیس عیش کالمرعی الوبیل... ألا ترون الی الحق لا یعمل به والی الباطل لا یتناهی عنه. لیرغب المؤمن فی لقاء الله... فانی لا- أری الموت الا- سعادة و الحیاة مع الظالمین الا برما. هتف زهیر و کان قد التقی الحسین علی قدر: - لو کانت الدنیا لنا باقیة و کنا خالدین فیها لاخترنا الموت معک. قال برید و کان من قراء الکوفة: [صفحه ۲۱] - انها نعمة یابن رسول الله أن نقاتل معک و أن تمزق أجسادنا لیکون جدک شفیعنا یوم القیامة. و هتف ابن‌هلال بحماس من اکتشف ینابیع الخلد: -سر بنا راشدا شرقا شئت أو غربا... انا نحب لقاء ربنا علی نیاتنا و بصیرة من أمرنا... نوالی من والاک و نعادی من عاداک. انبری الرجال لدق أوتاد الخیام کأنهم یحددون معالم مدینة ستولد فیما بعد. ازدحمت فی السماء سحب کأکوام من الرماد تتراکم بعضها فوق بعض، و بدا الجو مشحونا بالغضب؛ و اختلطت أصوات الرجال برغاء الجمال و صهیل الخیل وقعقعة الأسلحة. انتشر أربعة آلاف من الذین لا- ایمان لهم علی طول شاطئ الفرات و بدت الرماح بانصالها خناجر فی خاصرة النهر حیث راحت أمواجه تتدافع باتجاه الجنوب فرارا من نفوس مکتوب علیها الشح و لو بقطرة ماء. مرت سبعة أیام من المحرم، و الحصار یشتد. کان «ابن‌سعد» یمنی نفسه باستسلام القافلة، فالماء یعنی الحیاة، و منعه یعنی الموت و هل هناک من یختار الموت علی الحیاة؟ - ولکن فیها أطفالا. - لیکن انها الحرب. - لقد سقانا الحسین قبل أیام... سقی ألف انسان و ألف حصان. [صفحه ۲۲] - لأنه یجهل لعبة الحرب... - بل لأنه انسان. - و نحن؟! - أنتم لم تعودوا شیئا. لقد مات الانسان فی أعماقکم و انتصر الخنزیر القابع فی نفوسکم. - کفی هراء.. سوف یستسلم الحسین و عندها سأنطلق الی «الری و جرجان»... سأحکم بلادا واسعة. - والحسین؟! - الحسین.. الحسین.. لیتنح عن طریقی و الا سأعبر فوق جسده.. و لتمزقه سنابک خیل مجنونة. [صفحه ۲۳]

و سلاحه البکاء (۰۷)

کانت مضارب القافلة بین یدی «ذو حسم» و لو قدر لأحد أن یراقب من فوق قمته المکان لرأی خیاما متناثرة هنا و هناک حیث یمر الفرات تتدافع أمواجه کأفعی مذعورة. کان الحسین واقفا أمام خیمة تعصف بها الریح من کل مکان. ینظر الی الافق البعید البعید کما لو أنه ینظر الی آخر الدنیا. جنحت الشمس للمغیب.. رسمت لوحتها الحزینة فی السماء کجراح الأنبیاء، و شیئا فشیئا غادرت حمرة الغروب و امتلأ الافق رمادا و فتحت النجوم عیونها و راحت تنبض فی صفحة السماء کقلوب خائفة. فی غمرة الظلام المهیمن و قد

سكنت الأصوات فلا تسمع الا همسا، هتف ابن‌سعد متوجسا و هو يتطلع الى «ابن‌قرظة»: - ماذا تريد؟! - أرسلنى الحسين للاجتماع بك بين العسكرين. - و من معه؟ [صفحه ۲۴] - أخوه العباس و ابنه على. - التفت ابن‌سعد الى غلامه و الى ابنه حفص: - انهضا معى. كان ابن‌سعد يجرجر خطاه مترنحا، و آلاف الأفكار تتراكض فى رأسه كأرانب مذعورة، قال فى نفسه: - ترى ماذا سيفعل الحسين؟! هل يفر فى جنح الظلام؟ هل يستسلم؟ هل يقاتل؟ ولكن كيف يفر من كان أبوه على؟ و كيف يستسلم سبط محمد» للطلقاء»؟. أم تراه سيقاتل بسبعين رجلا!! لاح الحسين من بعيد كنخلة هيفاء. هتفت ابن‌سعد مأخوذا: - أية روح ينطوى عليها هذا الرجل؟! - أتحاربنى يابن سعد... و أنا ابن من تعرف؟! و سكت هنيهة ثم أردف مضيئا له الطريق: - كن معى ودع هؤلاء فهو أقرب الى الله. انتصبت أحلام ابن‌سعد أمام عينيه.. تجسدت رؤى و خيالات طالما شغلت رأسه و استحوذت على روحه. رأى فتيات جميلات فى القصور يمرحن بغنج، فقال بنفاق: - لسوف يهدمون دارى. [صفحه ۲۵] - أنا أبنيها لك. - و بساتينى... أنهم سوف ينتزعونها منى. - أعطيك «البغيبغة» فيها زروع كثيرة و نخيل. - و عيالى؟! اننى أخشى عليهم بطش ابن‌زياد. أدرك الحسين ان هذا الرجل قد مات منذ أمد بعيد... لم يعد سوى جثة نتنة. نهض السبط و قال بغضب: - مالك؟! ذبحك الله على فراشك.. و انكشفت له صفحة الغد فقال: - لن تأكل من قمح العراق الا يسيرا. تمتم «ابن‌سعد» و ابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه: - فى الشعير كفاية. [صفحه ۲۶]

و سلاحه البكاء (۰۸)

جثم صمت رهيب فوق المكان و ألقى الحزن كلاكله كغراب اسطورى؛ و القلوب الصغيرة الظامئة تصغى الى أصوات بعيدة تأتى من جهة الفرات كعواء ذئاب جائعة فى ليلة شتائية. قالت امرأة اسمها زينب: - لقد اقترب العدو. التفت الحسين الى أخيه. - انهض لترى ماذا يريدون. عوى ذئب من بعيد: - الاستسلام أو الحرب. هتف حبيب مستنكرا: - بئس القوم أنتم غدا عندالله.. أتقتلون سبط النبى... و قوما متهجدين بالأسحار يذكرون الله كثيرا. قال عزرة و قد برقت عيناه بشهوة الغزو: - انك تزكى نفسك ما استطعت. [صفحه ۲۷] رد زهير. - ان الله قد زكاها يا عزرة. لقد سولت لكم أنفسكم أمرا عظيما. - و متى كنت شيعة للحسين يا زهير؟! - جمع بينى و بينه الطريق... فذكرت به محمد. قال عزرة بصفاقة: - اننا نمتثل لأمر خليفته. - يزيد!! - أجل أميرالمؤمنين يزيد. هتف العباس ليضع حدا للمرارة: - اذن امهلونا هذه العشية الى غد. رد ابن‌سعد و قد ذهبت به الظنون: - الى غد... ولكن اما الاستسلام أو الحرب. أصدر ابن‌سعد أمره بالانسحاب، و شيئا فشيئا انحسرت قعقعة السلاح و كفت الخيل عن الصهيل و لم يبق سوى أصوات تشبه عواء الذئاب فى ليالى الزمهرير. تسمر التاريخ عند خيمة أضاءها سراج واهن... كان يصغى الى كلمات آخر الأسباط. - أحمدك اللهم على أن أكرمتنا بالنبوة و علمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئدة و لم تجعلنا من المشركين. كانت نظراته الدافئة تغمر رجالا ينشدون الموت من أجل [صفحه ۲۸] الحياة، فانسابت كلماته كنهر هادئ: - انى لا أعلم أصحابا أوفى من أصحابى و لا أهل بيت أبر من أهل بيتى... و انى أظن أن يومنا من الأعداء غدا؛ و انهم انما يطلبوننى و لو أصابونى لذهلوا عن طلب غيرى، فانطلقوا جميعا و هذا الليل فاتخذوه جملا و ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى و تفرقوا فى المدن البعيدة. - و أنت يا سيدى؟ - ما كان للحسين أن يفر. - ما قيمة الدنيا كلها سواك. قال ابن‌عوسجة: - والله لو لم يكن معى سلاح لقاتلتهم بالحجارة. و قال الحنفى: - لو قتلت سبعين مرة ما تركتك فكيف و هى قتلة واحدة. و قال زهير و هو يتطلع الى وجه مضمخ بعبير النبوات: - لو قتلت ألف مرة فلن أدعك وحيدا. و فى تلك اللحظات حيث تلتحم السماء بالأرض أشار الحسين فانكشفت الآفاق عن جنة عرضها كعرض السماوات و الأرض... جنات من نخيل و أعناب و الأنهار الخالدة تتدفق مطردة بدا الفرات ازائها كخيط من الملح و الرماد. [صفحه ۲۹]

و سلاحه البكاء (۰۹)

یا لها من لیلة عجیبة تمر لحظاتها کسنین متمادیة، و ساعاتها کالقرون لا تکاد تنتهی لکأنها ترید أن تستوعب التاریخ البشری بأسره. جلس علی متهالکا و بدا جسمه حطاما حتی لم تعد له قدرة علی النهوض، یتطلع الی النجوم... الی عالم لا- نهائی.. عالم مفعم بالصفاء.. عالم بعید عن ویلات الأرض و ما یجری فیها علی ید الانسان. کانت خیمته الی جوار خیمة أبیه. الحسین وحید وحید... یعرف انها النهایة أو البدایة.. راح علی یرهف سمعه لکلمات أبیه و هی تمتزج مع صوت یشبه شحذ السیوف.. فالمعرکة و شیکة قاب قوسین أو أدنی.. و غدا یوم الفصل. تطلع الی عمته التی دخلت توا ربما لتمرضه.. جاء صوت الحسین هادئا مثل نای حزین، فیه عتاب للزمن الذی لا یکف عن الغدر: یا دهر أف لک من خلیل کم لک بالاشراق و الأصیل [صفحه ۳۰] من طالب بحقه قتیل و کل حی سالک سبیلی ما أقرب الوعد الی الرحیل و الدهر لا یقنع بالبدیل شعر علی بالکلمات تغوص فی قلبه.. تمزق شرایینه و تذبحه من الورید الی الورید، کاد أن یغرق فی موجة طاغیة من البکاء، و البکاء یکاد یکون سلاحا لمواجهة الزمن الغادر. فهذا الغضب المتفجر فی الأعماق یدمر الأشیاء.. یحیلها الی حطام اذا لم یجد متنفسا له فی الدموع. فالسماء ما تزال مشحونة لا تکف عن البروق، و الرعود لن تهدأ حتی ینهمر المطر مدرارا. و بکی علی بصمت کسماء تمطر علی هون. لم تتمالک زینب.. لم یتحمل صبرها العجیب ما تسمع، فهبت تجر الذیول الی خیمة کالعرین. هتفت بصوت یشبه نشیج المیازیب فی مواسم المطر: - لیت الموت أعدمنی الحیاة.. الیوم ماتت امی فاطمة و أبی علی... یا خلیفة الماضین و ثمال الباقین. و رمق الحسین شقیقته التی اختارت طریقه، و قال مصبرا: - یا اختاه تعزی بعزاء الله... ان أهل الأرض یموتون و أهل السماء لا- یبقون و کل شیء الی زوال و یبقی وجه الله وحده. قالت و هی تنتحب: [صفحه ۳۱] - أفتغصب نفسک اغتصابا.. ان قلبی لا یطیق. کان صمت اللیل کفیل أن یجعل من الاذن الآدمیة مرهفة تلتقط حتی دبیب الهوام فکیف بالبکاء فی زمن غادره الفرح و بدت مقرفة فیه الأشیاء. وجد الحسین نفسه وسط نسوة ینشدن الأمن فی زمن الخوف کطیور مذعورة تبحث عن أعشاشها فی غمرة الظلام. نظر الحسین الی زینب نظرة طویلة أودعها کل ما یرید. قال بحزن: - یا اختاه و یا فاطمة و یا رباب... اذا قتلت فلا تشققن علی جیبا و لا تخمشن وجها و لا تقلن هجرا. نهض الحسین یواجه الغد القادم بعد ساعات، فلقد اشتدت ظلمة اللیل و بدت النجوم أکثر بریقا لکأنها عیون مفتوحة ترقب ما یجری علی شاطئ الفرات بین النواویس و کربلاء. و هناک علی شاطئ النهر قطعان الذئاب تنتظر لحظة الانقضاض علی الانسان. [صفحه ۳۲]

و سلاحه البکاء (۱۰)

ما تزال النجوم مسمرة فی السماء کمسامیر فی لوح کحلی و قد بدا الجو مشحونا بالخطر؛ فالقافلة التی ألقت مراسیها فی هذه البقعة من الأرض تحاصرها قطعان الذئاب. خرج الحسین یتفقد أرضا ستصبح بعد ساعات میدانا لملحمة عظیمة یتحطم فیها الانسان ولکنه لن یهزم أبدا تتمزق فیها الأجساد الآدمیة اما الروح فستبقی متألقة قویة کما خلقها الله و أودع فیها کلمته. هتف «الجملی» و کان قد أقلقه خروج الحسین الی أرض یحدق بها الغدر من کل مکان: - الی أین یا سیدی الحسین. لقد أفزعنی خروجک وحیدا. أخشی علیک الغدر. - خرجت أتفقد هذه التلال.. أخشی أن تکون مکمنا لهجوم الخیل یوم تحملون و یحملون. و أردف و هو یشد علی یده بدفء: [صفحه ۳۳] - انظر... خیامنا مکشوفة الظهر؛ علینا أن نحفر الخنادق حتی لا تفاجئنا الخیل... و الخیام مبعثرة علینا أن نقارب بینها حتی لا ینفذوا خلالها. هتف الجملی مبهورا برجل لا یعرف الیأس رغم عنف العاصفة: - سیکون القتال فی جبهة واحدة. - نعم فی جبهة واحدة... لم تحن لحظة الفلق بعد عندما دبت فی معسکر الحسین حرکة تشبه دوی النحل... النحل الذی لا یعرف غیر العمل. تشابکت أوتاد الخیام فی عناق صمیمی کأنه یعکس تلاحم القلوب... القلوب التی لا- تعرف غیر الحب... و انبری رجال یحفرون الخنادق لیملأوها حطبا؛ فاذا اشتعلت المعرکة تحول الخندق الی خطوط ملتهبة. شد رجل صحب النبی و شهد معه «احدا» جبینه بعصابة فأضاء مشهد فی ذاکرته. کان صوت النبی و هو یخطط للمعرکة عند جبل أحد مدویا: - انضحوا الخیل بالنبل، لا یأتونا من خلفنا. انطلق الرماة الی جبل «عینین» و وصایا النبی فی آذانهم... احموا لنا ظهورنا... ارشقوهم بالنبل فان الخیل لا تقدم علی النبل... انا

لا- نزال غالبين ما لبثتم مكانكم. انطفأ المشهد... و بلع الصحابى ريقه بمرارة لأنه تذكر كيف نسى [صفحه ۳۴] الرماة وصايا النبى فاجتاحت خيول قريش جيش محمد و راحت تفتك به كذئاب فى ليلة زمهرير موحشة. راح يحدق بسبط محمد لكأنه ورث عبقرية جده... رجل لا يعرف للهزيمة معنى... انه يقتحم الموت اقتحاما، ينهال على صخرة العطش ليفجر منها ينابيع من سلسبيل. انفلق الفجر و تبين للكائنات الخيط الأبيض من الخيط الأسود. و شيئا فشيئا لاحت من بعيد ذرى النخيل تحف الشطآن كعيون حورية شهيدة... و قد نزلت سورة المقاومة. ها هى الذئاب تعوى أسكرتها شهوة القتل، كدوامة راحت القبائل تدور حول قافلة جاء بها القدر. كان على ينوء بنفسه... بجسده الواهن... و قد أخفقت روحه العظيمة أن تنهض به؛ وفار غضب سماوى فى أعماقه و هو ينظر الى والده متقلدا سيف محمد يقاتل أشباه الرجال انهم لا أيمان لهم. تمتم بغضب: - يا امة السوء بئسما خلفتم محمدا فى ذريته. ودمعت عيناه و هو يراقب أباه يستوى على ناقة. فبدا فى عليائه كنبى يعظ قومه و ينذرهم سوء العذاب. راح يصغى الى كلمات الحسين و قد أشرقت شمس أطول يوم فى التاريخ. - أيها الناس ان الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء و زوال، متصرفة بأهلها حالا بعد حال؛ فالمغرور من غرته و الشقى من فتنته، [صفحه ۳۵] فلا- تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن اليها و تخيب طمع من طمع فيها و أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم و أعرض بوجهه الكريم عبكم، و أحل بكم نقمته. فنعم الرب ربنا و بئس العبيد أنتم. أقررتم بالطاعة و آمنتم بالرسول محمد ثم انكم زحفتم الى ذريته و عترته تريدون قتلهم. لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم فتبا لكم و لما تريدون. انا لله و انا اليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعدا للقوم الظالمين. كانت الكلمات تنفذ فى قلبه تفجر حزنا و غضبا و دموعا. غامت المرئيات أمام عينيه، و تلاشت زعقات الرجال و صهيل الخيول، و شعر بروحه تحلق بعيدا حتى لم يعد يشعر بكل ما يجرى حوله من أهوال. [صفحه ۳۶]

و سلاحه البكاء (۱۱)

لا يدرى كم مضى من الوقت عند أفاق... ولكنه عندما فتح عينيه ألفى ما حوله يدور فى دوامة رهيبة و قد تسمرت الشمس فى الأفق تتشظى لهيبا و جحيما، و كان أبوه فى قلب أصحابه و أهل بيته، و قد هبوا جميعا يكتبون بالدماء واحدة من أعظم الملاحم فى تاريخ الانسان. رمى «ابن‌سعد» أولى سهام الموت معلنا بداية الحرب و صرخ بغرور: - اشهدوا لى عند الأمير انى أول من رمى. و انطلقت آلاف السهام لكأن السماء تمطر وابلا من نبال. هتف الحسين محطما جدران الزمن: - قوموا الى الموت الذى لابد منه... فان هذه السهام رسل القوم اليكم. حانت لحظة الالتحام. سبعون أو يزيدون يقاومون اعصارا محملا بحقد الشياطين و هى ترى الملائكة تسجد للانسان. [صفحه ۳۷] تبدد غبار الاشتباك، و قد أسفرت المعركة عن خمسين جريحا تناثروا فوق الرمال. و لو قدر لك أن تكون فى تلك الساعة فوق قمة «ذو حسم» لرأيت سبط آخر الأنبياء فى التاريخ و هو يعيد تنظيم قواته استعدادا لجولة اخرى.. و لذهلت لبسالة انسان لا يعرف لليأس سبيلا الى نفسه. قلبه الذى يضاهى الجبل بثباته لا يعرف غير المقاومة. انظر الى الجناح الأيمن فى جيش يزيد. لقد بدأ هجوما كاسحا. كان عمرو بن الحجاج يقود ذئابه لحسم المعركة. كان رجال الحسين يقاتلون بعزم حديدى أو أشد بأسا... حتى أجبروا المهاجمين على التراجع.. و قد سقط «ابن‌عوسجة» مضمخا بالدماء يتمتم بصلاة هادئة. قال حبيب و كان صديقا له: - عز على مصرعك يا مسلم! ابشر بالجنة. همس بصوت واهن و قد ارتسمت ابتسامة كشمس تشرق من وراء الغيوم: - بشرك الله بالخير. قال حبيب: - لو لم أعلم انى فى الأثر لأحببت أن توصى الى. أجاب مسلم ملقيا وصيته الخالدة للأجيال: - أوصيك بالحسين أن تموت فى سبيله. [صفحه ۳۸] هتف حبيب و قد تفجر فى أعماقه غضب سماوى: - أفعل و رب الكعبة. ظهر الشمر كخنزير يقود الجناح الأيسر من جيش يزيد... ها هو يستعد للغدر و الفتك و قتل أولاد الأنبياء. و استعد رجال الحسين لصد الهجوم، و امتلأ الفضاء غبارا و لهيبا و بدت السيوف فى غمرة التراب المتطاير صواعق تحتفل فوق الأرض. صرخ الشمر و هو يمزق خيمة الحسين بالرمح: - على بالنار لأحرقها على أهلها. فرت النسوة و الأطفال كطيور هاربة من سفن غرقت فى القرار. [صفحه ۳۹]

و سلاحه البكاء (۱۲)

أشعلت القبائل النار فی أطراف الخیام عن الیمین و عن الشمال للاطباق علی معسکر الحسین. هتف السبط بأصحابه: - دعوهم یحرقونها فانهم اذا فعلوا ذلک لم یجوزوا الیکم. حمی الوطیس و قد توسطت الشمس کبد السماء و هی ترسل حممها فوق بقعة من الأرض ملتهبة؛ و الذئاب تعوی منتشبة بثأر قدیم. قال «الصائدی» و قد زالت الشمس: - انی لأحب لقاء الله و الصلاة معک. رفع الحسین طرفه الی السماء: - ذکرت الصلاة جعلک الله من المصلین الذاکرین. نعم هذا أول وقتها سلوهم أن یکفوا عنا حتی نصلی. جاء صوت الحصین یقطر نذالة: - انها لا تقبل منکم. [صفحه ۴۰] هتف حبیب بغضب: - زعمت انها لا تقبل من آل الرسول و تقبل منک یا حمار. و توجه الحسین بأصحابه الی السماء و قد حانت لحظة اللقاء. عندما تصفو النفوس تتحول الی أرواح مجردة تتخلص من اهاب الجسد و تحدث لحظة الانعتاق بین ما هو ملکوتی ینتمی الی السماء و بین ما هو مادی ینتسب الی الأرض. فی تلک اللحظات العصیبة و الأجساد تنزف دما لله تفتحت أبواب السماء و هتف الحسین مأخوذا بما یری من عوالم وردیة: - یا کرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها و اتصلت أنهارها و أینعت ثمارها و هذا رسول الله و الشهداء الذین قتلوا فی سبیل الله یتوقعون قدومکم و یتباشرون بکم، فحاموا عن دین الله و دین نبیه. و تضاءلت الدنیا حتی أصبحت أتفه من جناح ذبابة، و هتف الانسان الذی انتصر الملاک فی أعماقه: - نفوسنا لنفسک الفداء و دماؤنا لدمک الوفاء... و الله لا یصل الیک و الی حرمک سوء و فینا عرق یضرب. لقد تحول الحسین الی رمز لکل الفضائل الانسانیة فالدفاع عنه دفاع عن انسانیة الانسان و قهر الشیطان. کان علی یرقب من خیمته هول ما یجری فوق الرمال. لا أحد یدری کم هی المرات التی کان ینهض فیها لیهوی متهافتا فوق الأرض... یالضعف الجسد الآدمی و یالعذاب الروح التی لا تجد من [صفحه ۴۱] یحملها لیحقق ارادتها، فلا هی تنعتق لتحلق بعیدا عن ویلات الأرض و لا هی تنهض بهذا الجسد الذی غدا حطاما لا یقدر علی شیء. ما أصعب تلک اللحظات. السیف المعلق فوق عمود الخیمة ینتظر صاحبه. للمرة الأخیرة نهض حفید علی، و استند الی عصا و حمل سیفه. بدا له انه یحمل الأرض و من فیها. جرجر نفسه و سیفه الی خارج الخیمة.. کان هدفه أن یلتحق بالحسین بأی ثمن. هتف الحسین باخته و قد وقعت عیناه علیه: - احبسیه لئلا تخلو الأرض من نسل محمد. و وجد علی نفسه مرة اخری فی الفراش فشعر ان روحه تکاد تخرج و غامت المرئیات أمام عینیه حتی لم یعد یسمع صوتا أو یشعر بشیء. [صفحه ۴۲]

و سلاحه البكاء (۱۳)

الزمان یمر.. یمرق کنهر تتدافع أمواجه.. لا یتوقف لأحد فهو یمضی لغایته... الینابیع تدرک سر النهر لهذا فهی تفور... وحدها المستنقعات و البرک الآسنة لا تعرف سر الفوران؛ لهذا یموت الآدمیون... ینطوی ذکرهم و تبقی جراح الأنبیاء وحدها تفور... تدرک لغز الزمن. کان نهر الزمن یجری... یتسابق مع الفرات الظامئ و هب علی علی صوت صهیل غاضب یصک سمع الدنیا... لقد هوی الفارس الذی دوخ القبائل و الفرس تدک الأرض بسنابکها ترید أن توقظ فی الأرض سر الولادة. اهتزت الأرض... رجفت بأهلها و مادت... لقد قتل هابیل.. دماؤه تلون الأرض... الذعر یغزو القلوب الآدمیة. سقط رأس یحیی بین یدی «سالومی». هوی «ابن أبی‌طالب» فی المحراب مضمخا بالدماء. ما یزال غبار المعارک عالقا فی الهواء، و بدا الافق مستعرا بحمرة [صفحه ۴۳] دامیة. ألفی عمته تشق طریقها نحو آخر الأسباط فی التاریخ. صوتها یشق الفضاء: - لیت السماء أطبقت علی الأرض... و لیت الجبال تدکدکت علی السهل. مثل دوامة ما لها من قرار کانت الذئاب تدور حول رجل من ذریة الأنبیاء. السیوف المجنونة تتخطف ابن بنت نبی هو أعظم الأنبیاء. کان علی ینوء بروح مثقلة بهموم کالجبال. الأرض تستعید لحظات قدیمة قدم الجبال فی الجزیرة. کان «صالح النبی» یعظ قومه و قد تمخض الجبل و ولدت الناقة: - یا قوم هذه ناقة الله لکم آیة. کانت ناقة مبارکة تدر لبنا سائغا للشاربین. و تساءل الآدمیون: - کیف

تلد الصخور ناقة بهذا الجمال... بهذا العطاء.. کیف تدر کل هذا اللبن؟! لم تؤمن قبائل صالح.. و القلوب المظلمة لا تلد غیر الحقد و الضغینة و المؤامرة... قلوب منحوتة من صخور صماء.. و ان من الحجارة لما تتفجر منها الینابیع. و هکذا تحول الحقد علی «صالح» الی حقد علی «الناقة» و طفلها الصغیر. [صفحه ۴۴] فی تلک اللیلة العاصفة و الریاح تهب من ناحیة الشمال.. و کانت الناقة تحتضن فصیلها الودیع، و الطفل یزداد التصاقا بامه یلتمس الدفء و المحبة و السلام؛ فی تلک اللیلة ولدت المؤامرة و جلس «الرهط» یفکرون. کانت کؤوس الخمرة تدور فسول لهم الشیطان أمرا. کما تنسج العنکبوت خیوطها نسج المخمورون مؤامرتهم استلوا خناجرهم و انسلوا فی غمرة الظلام. کانت الناقة غافیة هی و صغیرها.. کانت الظلمة کثیفة الی حد جعلهم یتعثرون و هم یشقون طریقهم الی حیث ترقد الناقة بسلام. کانوا تسعة أشبه ما یکونون بالذئاب.. الذئاب التی تزداد شراسة و غدرا کلما تکاثف اللیل. و نشبت خناجر تسعة فی قلبین ینبضان بالدفء و الحب و العطاء؛ و سالت الدماء حمراء حمراء صبغت الأرض و لونت الصعید. و استیقظت ثمود و قد حل فی الأرض خوف رهیب؛ لم تعد هناک معان لمواعظ الأنبیاء؛ لقد حلت اللعنة. کان صالح یتمتم بحزن و هو یری غضب السماء قاب قوسین أو أدنی: - تمتعوا فی داارکم ثلاثة أیام ذلک وعد غیر مکذوب. و غادر صالح القبیلة الملعونة.. [صفحه ۴۵] و مضی یوم و أعقبه یوم ثم یوم، ثم انشقت السماء عن صیحة جبارة.. انقضت علی قصور منحوتة فی قلب الجبل فجعلتها دکا... و ما هی الا لحظات و قد تحول کل شیء الی حطام و أنقاض متراکمة بعضها فوق بعض... لم تکن هناک سوی عیون تبحلق برعب و دناءة تحکی قصة الغدر و الخیانة و دسائس الشیطان. الحسین ما یزال ینوء بنفسه... تتدفق جراحه دماء تلون الأرض و تصبغ الصعید بلون جدید. [صفحه ۴۶]

و سلاحه البکاء (۱۴)

ما أقسی هذا الزمن المریر، و ما أشد هذه اللحظات هولا، کیف تتحطم الأشیاء الجمیلة، و تهرب من هذا العالم، لیظهر الشیطان بقرنیه یعربد و یدمر. ها هو الأبرص یرتقی صدر السبط؛ کغراب اسطوری جاثم. القبائل مأخوذة بما یجری فوق الرمال. کانت أوداج الحسین تشخب دما... تتدفق مثل نافورة أزلیة تسقی الأرض تودعها الأسرار. همس الحسین بصوت أضعفته الجراح المتدفقة: - ویلک... لقد ارتقیت مرتقی عظیما.. فمن تکون؟ فتح الجاثم بوزه فبانت أنیاب ینز منها صدید: - أنا الشمر الضبابی. - أتعرفنی یا شمر؟ - أجل... أعرفک.. فأنت الحسین وجدک رسول الله و امک فاطمة. - فلم تقتلنی اذن؟ [صفحه ۴۷] - ارید بذلک جائزة یزید. - و شفاعة جدی محمد؟ ألا ترغب فی شفاعة رسول الله؟! - شفاعة محمد... ما قیمتها انها لا تساوی لدی دانقا واحدا. و ساد صمت رهیب.. انه السکون الذی یسبق حدوث الکوارث. تمتم الحسین بحزن: - صدق جدی محمد. - تری ماذا قال محمد؟ - قال لأبی: یا علی یقتل الحسین بأرض تدعی کربلاء یقتله رجل أشبه بالکلاب و الخنازیر. - محمد یشبهنی بالکلاب و الخنازیر.. لأذبحنک. انفجر الحقد و راح یعربد فی أعماقه ککلاب مسعورة و خنازیر. السیف الضبابی یشق طریقه الآثم فی شرایین الحسین یقطع الأوردة و العروق.. ندت آهة عظیمة و انطفأت عینان کانتا تضیئان العالم. الدنیا مظلمة... و الکائنات مذعورة. السماء تهطل دما عبیطا... و فرس غاضبة تصهل عالیا تتجه صوب الفرات الظامئ فتغوص فی لجة المیاه و القرار... و رأس الحسین فوق رمح طویل یدور و یدور و قد زلزلت الأرض زلزالها.. و ارتجفت الکائنات. [صفحه ۴۸] و فی تلک اللحظة بدا کل شیء مقرفا تافها لا معنی له... و تحولت تلک البقعة من الأرض الی مسرح رهیب، تتکاثف فیها مخاوف آدم کلها و قد حاصرته الشیاطین من کل مکان؛ ما یزال یبحث عن کهف یأوی الیه؛ و الشیاطین تحمل مشاعل من نار و دخان تریدأن تحرق کل شیء. القبائل المجنونة تنشب النار فی الخیام.. ألسنة الجحیم تلتهم الأعمدة.. و قلوب صغیرة تفر مذعورة هنا و هناک کطیور هاربة من سفن تائهة غرقت فی الظلام. الخیول المجنونة تعبر جثة الحسین تستبیح کل ما یصادفها، لم یعد هناک شیء مقدس. لقد تحطم کل شیء.. لم یعد هناک شیء ثابت. کل شیء یهتز تحت وقع سنابک الخیل و أقدام القبائل و قرون الشیاطین. [صفحه ۴۹]

و سلاحه البكاء (۱۵)

كـذئاب مسـعورة انشـبت أنيابها فى الخيام، و قد أيقظ الشـيطان شـهوة الغزو و النهب فى النفوس الآدمية. فر الأطفال على وجوههم، و قلوبهم تبحث عن رجل كان يحميهم. الأيدى الصـغيرة تتشبث بالهواء، و القبائل تطارد نسوة حاسرات، و المخالب البشرية تنتزع أقراطا و أسـاور. أنشب ذئب مخـالبه فى قرط لفاطمـة و انـتزعه بقسوة. سـالت الاـذن دمـا. كـان الرجـل يبكى.. تسـيل دموعه.. يعبر عن ذات منفصـمة. عن شرخ بين ضميره و ارادته، بين قلب يعرف الحق و أيد ملوثة تريد خنقه. و تعجبت الفتاة المقهورة من دموع التماسيح: - مالك تبكى؟ قال و هو ينتزع القرط الآخر: - كيف لا أبكى و أنا أسلب ابنة محمد. [صفحه ۵۰] - دعنى اذن. صاح السامرى المبهور بالـذهب: - أخاف أن يأخـذه غيرى. و اقتحمت الـذئاب خيمـة فيها على. جرد الأبرص سـيفا ما يزال مضـمخا بـدماء الحسين، كلمات الأرقط ما تزال تـدوى فى أعماقه: - لا تـدعوا منهم صـغيرا و لا كبيرا. انبرت زينب بشـجاعة والـدها العظيم: - لا يقتل حتى اقتل دونه. هتف ذئب لم يرتطم بقعر الحضـيض بعد: - انما هو صبى مريض. بدا ذو حسم» كناسك حزين أو شـيخ أحنت هامته السنون فهو ينظر ساهما الى ما يجرى حوله. الفضاء يمتلأ دخانا و ألسـنة النار كرؤوس الشـياطين تلتهم خياما تعصف بها الريح من كل مكان. و الذئاب تعوى مأخوذة بشهوة النهب. مثل دوامة مالها من قرار، كانت القبائل تدور حول نسوة و أطفال؛ قلوب صغيرة خائفة كحمائم برية وسط ريـح شـتائية عاتيـة و دموع كلآلئ انفرطت عن نظمها، تسـح من عيون تجمعت فيها غيوم حزينـة. يوم للـدماء و يوم للدموع حتى تطهر الأرض و يغتسل الانسان. [صفحه ۵۱] لتتـدفق الدموع أنهارا تغسل كل الأدران الآدمية، لتتفجر ينابيع الحزن، لينـدم قابيل مدى الحياة.. ليختبئ فى الكهوف و المغارات و ليوارى سوأته ليطهر يديه من دماء أخيه هابيل. ما يزال هابيل المضـمخ بأولى الدماء البشرية يطارده فى كـل مكـان. كمرأة اكتشـفت هول جريمتهـا توا بـدت الكوفـة فى تلك الظهيرة الملتهبـة.. نساء و أطفال و نياق و جمال هو كل ما غنمته القبائل من عارها الأبـدى. كان منظر على فوق بعير ضالع و قـد غلت يـداه الى عنقه و الدماء تشـخب من أوداجه يجسد وحشـية القبائل المفتونة بالغدر. يا لهذا الأسـير الحر انه ينظر الى ما وراء الأيام؛ نظراته تهيمن على الحشود البشرية المتراصة تريد أن تصغى الى كلمات الانسان عنـدما يقهر هل يخضع أم يثور. ولكن عليا انتهـج طريقا آخر للمقاومـة و الصبر. سـكنت الأنفاس و هـدأت الأجراس، وهيمن صمت مهيب فانسابت كلمات كنبع سماوى: - أيها الناس: من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على، أنا ابن من انتهكت حرمته، و سلبت نعمته و انتهب ماله، و سبى عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل و لا ترات، أنا ابن من قتـل صبرا و كفى بـذلك فخرا. أيها الناس ناشـدتكم [صـفحه ۵۲] الله هـل تعلمـون انكم كتبتم الى أبى و خـدعتموه و اعطيتمـوه من أنفسـكم العهود و الميثاق و البيعة؟ كان الصـمت ما يزال مهيمنا يضج: نعم.. نعم. و أدرك على ضـجيج الصـمت المثقل بالندم: - فتبا لكم لما قدمتم لأنفسكم، و سوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون الى رسول الله اذ يقول لكم: قتلتم عترتى و انتهكتم حرمتى فلستم من امتى. مثلما ينفجر البركان.. مثلما تنهار قشرة الأرض عن كظم الحمم الفائرة، انفجر الحشد المشدوه بالبكاء.. البكاء الذى يحكى قصة التيه و الضياع و اليـأس. و انفتحت كوة من أمـل: - رحم الله امرءا قبـل نصيحتى و حفـظ وصـيتى فى الله و فى رسوله و أهل بيته، فان لنا فى رسول الله اسوة حسـنة. هتفت الحشود البشـرية المتراصـة، و تدفقت الكلمات كأجساد تتراكض نحو باب الخلاص. - نحن يابن رسول الله سـامعون مطيعون حـافظون لـذمامك غير زاهـدين فيك، و لا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فانا حرب لحربك، و سـلم لسـلمك، نبرأ ممن ظلمك و ظلمنا. ما تزال الكوفـة هى هى لم تتغير بعـد. الكلمات المعسولـة و الوعود الفارغـة، التى تعبر عن ضـمير مذعور و ارادة ميتة. [صفحه ۵۳] التاريخ لا تصنعه الكلمات الجوفاء و الوعود الطنانة.. تصنعه الارادة الفولاذية و القلوب التى لا تعرف غير الحـق.. هتـف على بصـوت مبحـوح مـن الحزن: - هيهـات.. هيهـات.. أيهـا الغـدرة المكرة.. حيـل بينكم و بين شـهوات أنفسـكم، أتريـدون أن تأتوا الى كما أتيتم الى أبى من قبل؟ كلا و رب الراقصات، فان الجرح لما يندمل، قتل أبى بالأمس و أهل بيته و لم ينس ثكل رسول الله و ثكل أبى و بنى أبى، ان وجـده والله لبين لهاتى، و مرارته بين حناجرى و حلقى، و غصـته تجرى فى فراش صدرى. [

صفحه ۵۴]

و سلاحه البكاء (۱۶)

مضى التاريخ يشعل الحوادث هنا و هناک، و رأس الحسين على رمح طويل يطوف المدن يتحدث بلغة الصمت. جلس الأرقط و كان رجلا لا يعرف جده... ألقى بجسمه فوق سرير مذهب و خيل اليه انه يحكم العالم بأسره.. بين يديه رأس مقطوع، فى طست من ذهب. ردد الأرقط فى نفسه: - لقد سكت الحسين سكت الى الأبد.. و ها أنا أحكم العراقين. و أردف بنفاق لكى يسمعه الآخرون: - انها ارادة الله.. لأن كل شىء يمضى بمشيئة الله.. و قد قتل الله الحسين. كان الصمت ما يزال مهيمنا على المكان. التفت الأرقط الى فتى مكبل بالسلاسل: - ما اسمک؟ - على بن الحسين. [صفحه ۵۵] - ألم يقتل الله عليا؟ -.. فح كأفعى: - مالک لا تتكلم؟ - كان لى أخ أكبر منى يدعى عليا و قد قتله الناس. شعر الأرقط بحدة الصفعة فصرخ بغيظ: - بل قتله الله. - الله يتوفى الأنفس حين موتها و ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله. اتسعت عيناه كحية رقطاء و أشار الى الجلاد. اعترضت زينب بغضب: - حسبک يابن زياد من دمائنا ما سفكت. و هل أبقيت أحدا الا هذا؟ فان أردت قتله فاقتلنى معه. سدد الفتى نظرة احتقار: - أما علمت ان القتل لنا عادة و كرامتنا من الله الشهادة. نهض الأرقط و غادر المكان و لوح بسوطه فى الهواء و هتف بغرور: - الى السجن. تراكض الجلاوزة، كانت حركاتهم المرتبكة تنبئ عن ذعر و ذلة لنفوس انطفأت فيها جذوة الرجولة. [صفحه ۵۶] حشرت النسوة فى دار الى جانب المسجد الأعظم حولها الأرقط الى سجن، و اقتيد على بسلاسله الى الطامورة. فتح شرطى تبدو عليه الفظاظة بابا يفضى الى دهليز صخرى تحت الأرض و مضى الحراس يشقون طريقا ملتويا ضيقا تتفرع عنه ممرات. توقفوا عند زنزانة تشبه القبر، أمسک أحدهم بالأسير و حشره بقسوة؛ ثم عادوا أدراجهم، و شيئا فشيئا غاب ضوء المشاعل و خفتت أصداء الخطى و غمر الظلام المكان و لم يعد يسمع سوى صدى أنفاسه. كنبع يتدفق باردا شعر السجين بالسكينة تترقرق فى قلبه و تجرى فى جوانح صدره؛ لا شىء سوى الله.. الله وحده الحقيقة المطلقة و ما عداه أوهام و خيال. و كل من ينتمى الى الله ستكون من نصيبه الحقيقة. مثل بوصلة فى سفينة مبحرة وسط الظلمات كان قلبه يتجه الى الله.. الى الحبيب يهتف باسمه العظيم قائلا: - سبحانک اللهم و حنانيک.. سبحانک اللهم و تعاليت.. سبحانک اللهم و العز ازارک.. سبحانک اللهم و العظمة رداؤک.. سبحانک اللهم و الكبرياء سلطانک.. [صفحه ۵۷] سبحانک من عظيم ما أعلمک! سبحانک سبحت فى الأعلى.. تسمع و ترى ما تحت الثرى. سبحانک أنت شاهد كل نجوى.. سبحانک موضع كل شكوى.. سبحانک حاضر كل ملأ. سبحانک عظيم الرجاء. سبحانک ترى ما فى قعر الماء. سبحانک تسمع أنفاس الحيتان فى قعور البحار. سبحانک تعلم وزن الأرضين. سبحانک تعلم وزن الشمس و القمر.. سبحانک تعلم وزن الظلمة و النور.. سبحانک تعلم وزن الفىء و الهواء.. سبحانک تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة.. سبحانک قدوس قدوس.. سبحانک عجبا من عرفک كيف لا يخافک.. سبحانک اللهم و بحمدک... سبحان الله العلى العظيم. ما أقوى الروح عندما تحلق فى سمائها.. و ما أشد صفاءها و هى تنسل من بين قضبان الجسد.. انها تنتمى الى عالم آخر.. عالم لا يمت الى عناصر التراب بشىء. [صفحه ۵۸]

و سلاحه البكاء (۱۷)

ما أكثر الزنزانات فى تلک «الطامورة» زنزانات تشبه كهوفا مهجورة.. أو قبورا استيقظ ساكنوها بعد رقاد طويل. كانوا ثلاثة.. تفصلهم عن وجه الأرض أشبار.. قال المختار لصاحبيه و قد امتزج صوته برنين السلاسل: - استعدا للموت.. أشعر بأن يومنا قد دنا. همس عبدالله بن الحارث: أجل ان هذا الطاغية لن يتهيب من قتل الناس جميعا و كيف يهاب أحدا و قد قتل الحسين؟! تمتم المختار بأسى: - الحسين... أيمكن أن يحدث هذا.. أمر فوق التصور.. كيف يجرؤ انسان على ارتكاب جريمة كهذه؟! قال ميثم و قد كان معتصما بالصمت: - و لم لا.ـألم يقتل قابيل هابيل؟ ألم يحاول فرعون البطش بموسى.. و عيسى عندما أرادوا أن يصلبوه فرفعه الله اليه.. و

علی.. [صفحه ۵۹] أنسیتم دمه المراق فی المحراب.. کلما اتذکر علیا.. هذا الرجل العظیم.. أزداد احساسا بالحقائق.. و یشتد ایمانی بأن الدنیا لا تساوی جناح بعوضة ما لم یحق الانسان حقا أو یبطل باطلا.. و أردف و کأنه یخترق الجدار الصخری بنظراته: - أبشرا بالنصر. همس ابن‌الحارث بدهشة: - عن أی نصر تتحدث یا میثم؟ أفی مثل هذه القیود؟! هز المختار رأسه أسفا: - لقد انتصرنا یوما ما... أما الآن فقد انتهینا و انتهی کل شیء. أجاب صدیق علی و قد تمثلت أمامه نبوءات سمعها ذات یوم: - کلا یا مختار.. نحن لم ننته و لن ننتهی.. لأننا مع الحق و الحق باق أبد الدهر. و أردف کأنه ینظر الی صفحات المستقبل: - ستخرج یا مختار من السجن و ستنتقم لدماء الحسین و تقتل هذا الذی یرید قتلنا و تطأ بقدمیک وجهه. و سادت صمت مهیب لکلمات قالها علی و هو یستشرق آفاق الزمن القادم. مضت لحظات کأنها قرون عندما دوت خطی ثقیلة کانت تقترب شیئا فشیئا و یزداد صداها و هی ترتطم بجدران الصخر حتی [صفحه ۶۰] باتت کأنها تغرق العالم. أدار الحارس الفظ المفتاح فی قفل فانفتح طرف السلسلة و بدا وجهه القاسی فی ضوء المشعل کشیطان. شق الحارس طریقه و انتزع سجینا محکوما بالموت بغلظة. هتف المختار و هو یعنی ما یقول: - الی أین یا میثم؟ - أجاب میثم بهدوء: - الی جذع نخلة ینتظرنی منذ عشرین سنة. و أدرک المختار و صاحبه - ان الرجل مصلوب. و فی قصر بنی علی الظلم.. قال «الأرقط» و هو یصعد النظر بالسجین بازدراء: - أهذا الأعجمی یکون صدیقا لعلی. أجاب أحدهم: أجل.. و لقد کان تمارا یبیع التمر فی السوق. سأل الأرقط باستخفاف: - أین ربک؟ أجاب السجین: - انه بالمرصاد. - هل أخبرک أبوتراب عن مصیرک؟ [صفحه ۶۱] - انی لأعرف النخلة التی سأصلب علیها.. - لأکذبنه. - أتکذب وصی محمد؟! صرخ الأرقط بعصبیة: - أعیدوه الی السجن: و استدرک و هو یلوح بسوطه: - بل اصلبوه و الحقوه بأصحاب أبی‌تراب. ابتسم السجین و هو یتطلع الی رجل سیسقط رأسه الفارغ عند أقدام الثائرین. [صفحه ۶۲]

و سلاحه البکاء (۱۸)

الطریق بین الکوفة و دمشق مترع بحزن مریر لمن یعرف الصراع بین المدینتین. لاح الفرات من بعید حیة ترقد وسط الصحراء، و قد نهضت علی جانبیها النخیل کرماح مرکوزة. أشار الدلیل الی بقعة قرب منعطف الفرات و هتف ربما لینبش ذکریات قدیمة. - ها هو صفین. بدا السهل المنبسط الممتد علی مدی الشطان مقفرا تماما. لقد اختاره القدر ذات مرة لیکون میدانا للصراع و مسرحا للاختیار بین علی و معاویة.. بین الروح و الغریزة.. غیر ان النفوس التی أخلدت الی الأرض اختارت معاویة، و ظل علی وحیدا مضمخا بالدماء و هو یصلی لله فی المحراب. کان الأبرص ینظر برعب الی صفین. ارتجف شاربه الکث.. شعر بأن یزید یتطلع الیه بغیظ و حقد؛ لأنه کان جندیا یوما ما فی جیش [صفحه ۶۳] علی. تمتم فی نفسه: - لقد مضت عشرون سنة.. و هی کافیة لتمسح الماضی البعید و ها أنا أحمل رأس ابن علی هدیة الی ابن‌معاویة. بدا رأس الحسین فی ذروة الرمح یتطلع الی الأفق البعید کأنه ینظر الی آخر الدنیا. أشار الدلیل للاستراحة فی مکان علی الشاطئ.. لیکون محطة لاستراحة الخیول.. و الأسری.. جحظت عین الأبرص حقدا و نهر الدلیل بفظاظة - ألم تجد مکانا غیر هذا؟! - أنه مکان کثیف الظلال... و میاه النهر سهلة الورود و الخیل سریعة التعب. صعد الأبرص نظره فی الدلیل: - لعلک أشفقت علی الأسری؟ أجاب الدلیل و هو یتطلع الی الفتی المغلول: - لقد حیرنی صمته.. انظر الیه، الی سکینته، الی بریق عینیه. - کفی هراء... أنت لا تکف عن الثرثرة.. مشی الدلیل الی الفتی المکبل بالسلاسل. صرخ الأبرص و قد أدرک ما یرمی الیه: - ماذا تفعل أیها الأحمق؟ - أفک عنه الأغلال لیستریح قلیلا. [صفحه ۶۴] - اذن ألهب ظهرک بالسیاط. هرعت الخیول الی الشاطئ لترتاد المیاه المتدفقة. و برکت النوق فی الظلال. کان الدلیل یفکر بطریقة لمساعدة الفتی و هو یسیر باتجاه الشاطئ. توقف علی عند جذع نخلة و راح یتأمل الأمواج المتدافعة و هی تتألق فی ضوء النهار.. تمثلت امامه مشاهد من یوم طویل.. یوم شهد الفرات الزاخر بالمیاه ملحمة الظمأ.. و دوت فی اذنیه أصداء الأطفال و هم یهتفون: العطش.. العطش. جلس الفتی عند حافة النهر و لا مست المیاه قدمیه الملتهبتین... تطلع الی نقطة فی سماء بعیدة الغور.. و تمتم بکلمات. تساقطت السلاسل من یدیه و غاص أحد طرفیها فی

الماء.. تسمر الدليل فی مكانه، و سقط فكه الأسفل دهشة.. و ظل مبهوتا و هو يتطلع بعينين مفتوحتين انبهارا الى المياه و هی تنثال من بين كفيه.. أتم الفتی وضوءه ثم أخذ غرفة ليشرب. أدناها من فمه. و لما هم بالشرب توقف كل شیء... لكأن شيئا عظيما حال بينه و بين أن يروی كبدا حری.. طوح الفتی بقبضة الماء... ثم أدخل يديه فی القيود فعاد مغلولا. هتف الدليل مأخوذا بما يری: [صفحه ۶۵] – ألست ظامئا يا سيدی؟ أجل. – فلم لا تشرب اذن؟ – تذكرت ظمأ الحسين... و عطش أطفال صغار... و.. تساقطت الدموع من عينيه فولی وجهه شطر نخلة ميساء؛ و انبثق عند جذعها شلال من الصلاة. [صفحه ۶۶]

و سلاحه البكاء (۱۹)

بدت دمشق ذلك الصباح عجوزا تتصابی لم تترك من دهون الزينة لونا الا طلت وجهها به. تجمهر الدمشقيون عند باب «الساعات». ثلاث مرات أخرجت الحية النحاسية رأسها المثلث اسقطت ثلاث حصاة فی الاناء النحاسی، و كان غراب من نحاس يشير الى الوقت دون اكتراث. و أطلت القافلة أخيرا. كان رأس آخر الاسباط فی ذروة رمح طويل يتقدم أعجب موكب فی التاريخ. تطلع رجل عجوز الى فتی القافلة الوحيد و هتف ببلاهة المخدوعين: – الحمدلله الذی أهلككم و أمكن أميرالمؤمنين منكم. نظر الفتی اليه و خاطبه باشفاق: – أقرأت القرآن يا شيخ؟ – أجاب العجوز مأخوذا: [صفحه ۶۷] – أجل. – أوجدت فيه هذه الآية «قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فی القربی»؟ – نعم.. ماذا تعنی؟ – نحن القربی يا شيخ.. فهل قرأ «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»؟ – نعم قرأتها. – نحن أهل البيت يا شيخ. هتف الشيخ مأخوذا. – بالله عليك أنتم هم؟! – نعم و حق جدنا رسول الله انا لنحن هم. شعر العجوز بالأرض تدور به.. تهتز تحت قدميه. مرت لحظات رهيبة كانت كافية لأن تجتمع فی أعماقه آلاف الغيوم الممطرة فانفجرت الدموع من عينيه الكليلتين: – أبرأ الی الله ممن قتلكم. و ما أسرع أن تخطفته الكلاب المسعورة. و تساءلت امرأة دمشقية: – من أی السبايا أنتم؟ تمتمت ابنة للحسين و كان اسمها سكينة: – نحن سبايا آل محمد. [صفحه ۶۸] و أردفت و هی تتطلع الی رؤوس فی ذری الرماح: – هذا رأس أبی و عمومتی و رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. انعقد لسان المرأة دهشة.. و بدا لها ما تسمعه الغاز و طلاسم. كمن يبحث عن ظله فی يوم غائم كان «سهل» يحث خطاه الی «باب الساعات». تساءل فی نفسه و هو يقلب بصره فی مظاهر الزينة التی بدت مفتعلة بعض الشیء: – أيكون لأهل الشام عيد لا نعرفه؟ و سأل شيخا مرق من أمامه: – هل الناس فی عيد يا شيخ؟ تلفت العجوز و قال بصوت هامس: – لعلك غريب؟ – أنا سهل بن سعد الساعدی ممن رأی الرسول و سمع حديثه. دمعت عينا الشيخ و قال بحزن: – ماذا تقول يا صاحب رسول الله؟ الساعة سيأتون برأس الحسين و رؤوس القتلی من أهل بيته. شعر «سهل» بدوی الانهيارات فی أعماقه... صرخة تدوی فی صدره: يا محمد.. يا رسول الله... بدا سهل مذهولا و هو يتطلع الی موكب لم يخطر فی باله أن يراه يوما ما. كان رأس الحسين يتقدم القافلة علی رمح طويل. [صفحه ۶۹] كما تستيقظ الحمائم فی الفجر هبت الذكريات القديمة ملونة جميلة. كان محمد يحتضن حفيده يشبعه قبلا، و الحسين بسنيه الخمس يداعب سوالف جده العظيم و أصابعه الصغيرة تغوص فی شعره المتموج تموج الصحاری؛ و انبعثت كلمات تتألق مثل ندی الصباح: حسين منی و أنا من حسين. وجد سهل نفسه يهتف مبهورا كأنه قطع الصحرا: – يا حسين! وضاع صوته بين دوی الطبول و زعقات الأبواق تملأ فضاء المدينة. [صفحه ۷۰]

و سلاحه البكاء (۲۰)

الطريق الی قصر الخضراء تحفه بيارق ملونة حمراء و صفراء و قد اصطف مسلحون علی جانبی الطريق... و الموكب العجيب يمضی قدما الی قصر أسس بنيانه علی الظلم. و فی بوابة القصر توقفت القافلة وجيئ بالحبال فربق بها آل الرسول، وضعوا طرفا منها فی رقبة فتی فی العشرين ثم فی رقبة زينب بنت علی ثم فی باقی بنات محمد، و كلما تعثر الأسری فی طريقهم انهالت عليهم السياط من كل جانب. كان يزيد جالسا ينظر باستعلاء، و نشوة الانتصار تطل من عينيه. هيمن صمت رهيب لم يعهده القصر من قبل... صمت الأسری

ملأ فضاء القصر بأشياء يحسها المرء فی أعماقه. عدل يزيد من جلسته. كان ينتظر كلمات الاستعطاف أو كلمات تذكر بالنصر. أراد الخليفة الجديد أن يجعل من نصره حقيقة فخاطب فتی [صفحه ۷۱] القافلة الوحيد: - كيف رأيت صنع الله بأبيك الحسين؟ و جاء الجواب صاعقا: - رأيت ما قضاه الله قبل أن يخلق السموات و الأرض. أدرك يزيد ان هذا الفتی فرع من تلك الزيتونة؛ فهمس فی آذان مشاوريه. كانت العيون حمراء بلون الدماء تحمل نذر الموت و يطل منها حقد قديم. - اقتله يا أميرالمؤمنين... انه يضم قلب أبيه فی جوانح صدره. فهتف الفتی بصلابة الأنبياء: - يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم فی موسی و هارون فانهم قالوا له: أرجه و أخاه... و أردف غير مكترث بالموت الذی يحدق به من كل مكان: - و لا يقتل الأدعياء أبناء الأنبياء. و عاد يزيد مرة اخری يتحدث كخليفة فقال بنفاق: - ما أصابكم ن مصيبة فبما كسبت أيديكم. أجاب الذی عنده علم الكتاب: - ما هذه نزلت فينا؛ انما نزل فينا: ما أصاب من مصيبة فی الأرض و لا فی أنفسكم الا فی كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك علی [صفحه ۷۲] الله يسير لكی لا تأسوا علی ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم. فنحن لا نأسی علی ما فاتنا و لا نفرح بما آتانا. انتفض يزيد كالملدوغ و قد سقط عنه وقار مصطنع: - مهلا بنی عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا. صر علی أسنانه بحقد و لعن فی نفسه ابن‌زياد ذلك الأحمق لأنه نسی أن يخمد صوت الحسين. أشار يزيد الی رجل باع دينه بدنيا غيره. نهض واعظ السلطان ورقی منبرا مسروقا، و راحت الكلمات المسمومة الملوثة بالصديد تتدفق من فمه يحاول يطفئ الشمس و القمر و النجوم و يجعل من النفايات حدائق بنفسج، ولكن أين الثری من الثريا و أين معاوية من علی. هتف الفتی كبركان غاضب: - لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار. و التفت الی يزيد: - اتأذن لی أن أرقی هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالی رضا و لهؤلاء أجر و ثواب. شعر يزيد بالخوف يحاصر قلبه و هتف مذعورا: - كلا.. كلا. قال«معاوية» و كان فتی لم يبلغ العشرين بعد و فی عينيه بريق [صفحه ۷۳] اكتشاف: - ائذن له يا أبی.. و ما قدر أن يأتی به. همس يزيد محذرا: - ان هؤلاء ورثوا العلم و الفصاحة و زقوا العلم زقا... و لا ـ ينزل من المنبر الا ـ بفضيحة آل أبی‌سفيان. و علت صيحات من الحضور و قد بهرتهم شخصية الفتی: - ائذن له يا أميرالمؤمنين. سكت يزيد مستسلما... ورقی الأسير المنبر... يتفجر من فوقه نبع من الفصاحة و البلاغة و الحكمة و انسابت الكلمات كنهر هادئ تتدافع أمواجه متألقة فی ضوء النهار: - الحمدلله الذی لا بداية له، و الدائم الذی لا نفاد له، و الأول الذی لا أولية له، و الآخر الذی لا آخرية له، و الباقی بعد فناء الخلق، قدر الليالی و الأيام، و قسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلام. أيها الناس أعطينا ستا و فضلنا بسبع أعطينا: العلم و الحلم و السماحة و الفصاحة و الشجاعة و المحبة فی قلوب المؤمنين، و فضلنا: بأن منا النبی و الصديق و الطيار، و أسد الله و أسد رسوله و سبطا هذه الامة. أيها الناس من عرفنی فقد عرفنی و من لم يعرفنی أنبأته بحسبی و نسبی.. انا ابن مكة و منی، أنا ابن‌زمزم و الصفا. أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا. [صفحه ۷۴] أنا ابن خير من ائتزر وارتدی و خير من طاف و سعی، و حج و لبی أنا ابن من حمل علی البراق و بلغ به جبريل سدرة المنتهی فكان من ربه قاب قوسين أو أدنی، أنا ابن من صلی بملائكة السماء، أنا ابن من أوصی اليه الجليل ما أوصی، أنا ابن من ضرب بين يدی رسول الله ببدر و حنين، و لم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين و وارث النبيين و يعسوب المسلمين و نور المجاهدين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين و مفرق الأحزاب، أربطهم جأشا و امضاهم عزيمة.. ذاك أبو السبطين الحسن و الحسين علی بن أبی‌طالب.. أنا ابن فاطمة الزهراء و سيدة النساء. أنا ابن خديجة الكبری.. من يوقف هذا النبع المتدفق؟ من يخمد هذا البركان المتفجر حمما؟ من يكفن هذه الشمس بأكوام الغيوم؟ و عندما تبكی الغيوم و تسح دموعها الثقال، فانها تذوب لتسطع الشمس.. شمس الحقيقة... و هكذا أراد ذلك الأسير العظيم. كلماته ما تزال تدوی: - أنا ابن المرمل بالدماء، - أنا ابن‌ذبيح كربلاء، - أنا ابن من بكی عليه الجن فی الظلماء، و ناحت الطير فی الهواء. كان عرش يزيد يهتز بشدة و قصره يميد... صرخ الخليفة بعصبية أذنوا للصلاة. [صفحه ۷۵] حيلة تعلمها من عمرو بن العاص يوم رفعت المصاحف فی صفين تفاديا للعاصفة. هتف المؤذن: - الله أكبر. عقب الفتی بخشوع المؤمنين: - الله أكبر و أجل و أعلی و أكرم مما أخاف و أحذر. و انساب الاذان: - اشهد أن لا اله الا الله. تمتم الأسير: - نعم أشهد مع كل شاهد ان لا اله غيره و لا رب

سواه. - أشهد ان محمدا رسول الله. التفت ابن‌محمد مخاطبا يزيد: - هذا الرسول العزيز الكريم جدك أم جدى؟ فان قلت جدك علم الحاضرون و الناس كلهم انك كاذب و ان قلت جدى فلم قتلت أبى ظلما و عدوانا و انتهبت ماله و سبيت نساءه فويل لك يوم القيامة اذا كان جدى خصمك. صرخ يزيد بالمؤذن: - أقم للصلاة. و سرت همهمة و طفحت الأسئلة على الوجوه، كما تظهر الفقاعات فوق سطح ماء أصابه مس من الغليان. [صفحه ۷۶]

و سلاحه البكاء (۲۱)

غيوم الخريف تعبر سماء دمشق... تبعثرها الرياح كسفن تائهة؛ و أضحت السماء ميدانا لخيول مجنونة، أو لوحة تتراكم فيها أكوام الغيوم كما تشاء الريح تشكلت بحيرات زرقاء و تلال و خلجان لا حصرلها، و بدت غيمة بيضاء على شكل حصان ترتاد الشواطئ القطنية، غير أن الريح سرعان ما دفعتها لتذوب فى أكوام الرماد، اختفت البحيرات و تراكمت جبال السحب الداكنة بعضها فوق بعض اندثرت الشواطئ الناصعة تحت أكوام الرماد و الرياح الخريفية تبشر بشتاء قارس و صقيع. كان «المنهال» يراقب من بعيد خربة تشبه سجنا قديما أنزل فيها الأسرى. جلس يصغى الى أول مناحة لعاشوراء فى دمشق... كان اسم الحسين يرتفع يتألق فى الفضاء... يتناغم مع نداء الأذان يعانق اسم جده العظيم محمد. - هو ذا. [صفحه ۷۷] هتف المنهال و قد لاح من بعيد فتى القافلة الوحيد... وجهه المضيئ كقمر حزين... كأنه يحمل على كتفيه هموم الدنيا و أحزان العالم كله. هرع اليه لعله يخفف من أحزانه شيئا: - كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ تجمعت الدموع فى عينيه كغيوم مشحونة بالمطر: - أمسينا كمثل بنى اسرائيل فى آل فرعون يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم. سكت هنيهة و أردف: - أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها، و أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، و أمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين... فانا لله و انا اليه راجعون. و قال الرجل و هو يحاوره: - أخشى عليك كثرة البكاء. أجاب الفتى و هو يخترق السحب بنظرات متأملة: - انما أشكو بثى و حزنى الى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون... ان يعقوب كان نبيا فغيب الله عنه واحدا من أولاده و عنده اثنا عشر و هو يعلم انه حى فبكى عليه حتى أبيضت عيناه من الحزن...و انى نظرت الى أبى و اخوتى و عمومتى و صحبى مقتولين حولى فكيف ينقضى حزنى... كلما نظرت الى عماتى و أخواتى تذكرت فرارهن من [صفحه ۷۸] خيمة الى خيمة. اشتعل المشهد العاشورائى بكل تفاصيله... ياله من يوم عصيب.. النار المجنونة تلتهم كل شىء الخيام تحترق و الأعمدة تتهاوى حطبا... و قد فر الأطفال.. قلوبهم تدق مثل حمائم مذعورة. و نسوة و فتيات يلذن من خيمة الى خيمة اخرى و النار تفتح أفواها شيطانية تريد ابتلاع كل الأشياء الخضراء. فجأة ظهرت امرأة تتجه نحو الستين بخطى واسعة. نادت بصوت بح من البكاء: - الى أين يا نعم الخلف؟ أسرع الفتى اليها. أدرك المنهال انها زينب... زينب التى وقفت بوجه العاصفة. هل يكون عاشوراء خلاصة لكل تاريخ النبوات فى الأرض بكل الجراح، بحجم الصبر، بفورة الدماء.. و تألق حبات الدموع. [صفحه ۷۹]

و سلاحه البكاء (۲۲)

- الى كربلاء. همس الفتى فى اذن الدليل، و قد انفصلت القافلة عن ديار الشام فى رحلة العودة الى أرض الحجاز. منذ ذلك التاريخ ستصبح تلك البقعة على شطآن الفرات مقصدا للقوافل الجديدة و محطة لقوافل اخرى. كان على الدليل أن يسلك طريقا آخر غير طريق التجار و بعيدا أيضا عن طريق البريد، حيث تمرق الخيول سريعة تحمل الأنباء الهامة. و انسابت القافلة مثل ظفيرة من حرير فى بطون الأودية متجهة صوب «عين الوردة» أولى محطات الطريق الجديد. بركت النوق فى «عين الوردة» ثم فى «قرميسيا» و بعدها «الأنبار» ثم يممت وجهها شطر بقعة على ضفاف الفرات... بقعة ستشهد ميلاد مدينة ما تزال فى مخاض الزمن. آن «للرأس» أن يعود بعد رحلة دامت أربعين يوما. [صفحه ۸۰] آن للرأس الذى طاف المدن فوق ذرى الرماح أن يعود بعد أن رتل القرآن ترتيلا. عاد رأس السبط بعد أن أيقظ الانسان فى النفوس الآدمية.. و فى الأرض البذور. كان الشفق داميا كجراح الأنبياء عندما وصلت القافلة

کربلاء. آثار الخیول ما تزال محفورة فی الأرض و التاریخ و فی ذاکرة الانسان... سهام مغروسة فی الرمال... سیوف مهشمة و بقایا رماد. قفزت الحوادث الرهیبة الی الذاکرة... تجسدت فی العیون... و تردد صداها فی القلوب. هرولت «الرباب» الی کومة رمل صغیرة. ضمت رضیعها الشهید. احتضنت الرمال الناعمة.. هتفت بقلب کسیر: - هلم الی یا صغیری. و تساقطت قطرات من دمع و من لبن رسمت فی الثری نقاطا ندیة صغیرة. کان الرضیع غافیا فی أحضان الأرض التی لونها بدمه الرائق. و عندما هومت عیناها، رأت نافورة ماء تنبجس من نحر الشهید.. کان الأطفال یدورون بین القبور کحمائم بریة تبحث عن أعشاشها. من بعید لاح «جابر».. رجل آزر النبی و نصره و جاء الیوم یجدد. [صفحه ۸۱] العهد مع سبطه. شم جابر رائحة النبی فهوی یقبل قبر الحسین: - یا حسین... یا حسین... أشهد انک قد مضیت علی ما مضی علیه أخوک یحیی بن زکریا. هتف الفتی و قد تجمعت فی عینیه الدموع: - یا جابر هاهنا والله قتلت رجالنا... و ذبحت أطفالنا و سبیت نساؤنا و حرقت خیامنا. نهض جابر ینوء بحمل السنین.. أجال بصره الواهن فی القبور و هتف کأنه یخاطب التاریخ و الانسان: - السلام علیکم أیتها الأرواح التی حلت بفناء الحسین و أناخت برحله... أشهد أنکم أقمتم الصلاة و آتیتم الزکاة و أمرتم بالمعروف و نهیتم عن المنکر، و جاهدتم الملحدین، و عبدتم الله حتی أتاکم الیقین.. و الذی بعث محمدا بالحق نبیا، لقد شارکناکم فیما دخلتم فیه. قال رجل و قد اتسعت عیناه دهشة: - کیف و لم نهبط وادیا و لم نعل جبلا و لم نضرب بسیف؟! و تدفقت کلمات قالها محمد ذات یوم: - سمعت حبیبی رسول الله یقول: من أحب قوما کان معهم و من أحب عمل قوم أشرک فی عملهم... و الذی بعث محمدا بالحق نبیا ان نیتی و نیة أصحابی علی ما مضی علیه الحسین و أصحابه. کانت الشمس علی وشک المغیب و قد بدت حمراء حمراء کعین [صفحه ۸۲] تسح دموعا ثقالا. مسح جابر وجها کان قد تعفر بتراب الحسین.. تمتم بحدیث لحبیبه کان قد سمعه قبل أکثر من خمسین سنة، کان النبی یداعب صبیا فی ربیعه الخامس و یقول: حسین منی و أنا من حسین. هتف جابر وسط الصمت و کان الفرات یجری تتدافع أمواجه: - أشهد انی قد سمعت ذلک من حبیبی محمد. غابت الشمس خلف الرمال الممتدة، و نشر المساء ستائره الرمادیة فوق الأرض، و انبری رجال یدقون أوتاد خیام صغیرة... فزینب ترید البقاء الی جانب أخیها الحسین. [صفحه ۸۳]

و سلاحه البکاء (۲۳)

غادر یزید قصر الخضراء تحوطه کلاب الصید التی ملأت الفضاء نباحا. ملأ رئتیه من نسمات الصباح الباردة کما لو یرید اطفاء حرقة الخمر التی ما تزال تشتعل فی أعماقه، ألقی نظرة استعلاء من فوق حصانه الأسود علی مرافقیه و أدار بصره فیهم متصفحا وجوههم. و فی تلک اللحظة مر قطیع هائل من الخیول العربیة الأصیلة.. راح یتابع القطیع الممتد فی الافق و هو یتجه صوب بلاد الرومان؛ فیما وقف سفیر القیصر یشرف علی نقل الأتاوة السنویة المفروضة علی المسلمین الی بلاده. هز یزید کتفیه دون اکتراث و ألهب ظهر حصانه بالسیاط فانطلق موکب الصید تحفه الکلاب من کل صوب. أمعن یزید هذه المرة فی البادیة مقتربا من تخوم العراق حیث تکثر الغزلان. هذه أول رحلة للصید یقوم بها فی خلافته فلتکن لها ابهة الملک [صفحه ۸۴] و فخامة السلطان العریض، و قد آن له أن یحتفل بنصره الأول. دب المساء کحشرة متلصصة و قد انتهی رجاله من دق أوتاد الخیام. کان یزید یداعب قرده «قبیس». قرصه من مکان حساس فنز القرد مذعورا، فأطلق یزید ضحکة ماجنة أودعها شعورا مفرطا بأهمیته. ألقی بنفسه بین الطنافس الحریریة و راح ینظر الی آنیة الخمرة المختلفة الألوان و الأشکال. أمسک بعنق ابریق ذهبی صغیر و أفرغ ما فیه فی جوفه.. شعر بدبیب النمل یتخلل عروق جسده و یداعب رأسه.. احمرت عیناه.. أطلق ضحکة شیطانیة جعلت «قبیس» ینظر الیه بخوف. نشر اللیل ستائره الکحلیة و بدت صفحة السماء تزخر بالنجوم کمصابیح فضیة أو لآلئ متناثرة فی بحر شدید الظلمات. أخذ الحراس مواقعهم یحرسون خیمة فیها قردة و خنازیر؛ کؤوس الخمرة تدور و تدور. و بین الفینة و الاخری یعلو صوت قرد أو ضحکة ماجنة، و اللیل ظلمات یتراکم بعضها فوق بعض؛ و النجوم تشتد سطوعا تبشر بفجر قریب. کل شیء یمضی علی سنة الناموس الا ما یفعله ابن آدم منذ سولت لقابیل نفسه قتل

أخیه. [صفحه ۸۵] استیقظ یزید بل هب مذعورا. منذ أیام و الکوابیس تلاحقه... فتح عینیه الدامیتین و غادر الخیمة مترنحا. کانت الشمس علی وشک أن تشرق بحمرتها القانیة، فالشفق مضمخ بلون یشبه الدماء. هتف أحدهم و قد رأی صاحبه یرید اعادة صلاته. - ماذا تفعل؟! - لقد نسیت لعن أبی‌تراب فی القنوت. - أوه.. انها لا تقبل منک. قهقه یزید و هو ینتبذ مکانا قریبا لقضاء حاجته. أرسلت الشمس أشعتها الخریفیة الواهنة، فبدت الفلاة مد البصر شفافة. امتطی یزید صهوة الحصان و ألقی نظرة افتراس قبل أن یلهب ظهر الجواد بالسوط معلنا بدایة الجولة. بدا وجهه المجدور فی أشعة الشمس مقیتا کحیوان متنمر. أمعن یزید فی البادیة جنوبا و الکلاب خلفه تملأ الفضاء نباحا. و شیئا فشیئا خف صوتها و لم یبق الا صدی سنابک الحصان و هو یطوی المسافات الطویلة. ظهرت شجیرات صغیرة الی جانب ربوة؛ شد زمام الحصان بعنف، و لوی رقبته باتجاهها، راح الحصان یخطر ببطء. ألقی یزید نظرات مشتعلة تلهب المکان و أرهف أذنیه الی [صفحه ۸۶] خشخشة الأشواک، فجأة ظهرت ظبیة مذعورة و معها صغیرها و قد بدا غیر مکترث لما یری. استل یزید سهما و وضعه فی کبد القوس، ضیق احدی عینیه و جعل امتداد النصل فیما بین عینی الظبیة؛ ثم عدل عن فکرته. نقل اتجاه النصل الی الصغیر و اختار أسفل رقبته الصغیرة، أفلت السهم فانطلق یشق طریقه الثاقب فی الهواء الی رقبة الصغیر الذی تراخت قدماه الا ماميتان فهوی جانبا فوق الأرض. سدد الصیاد سهما آخر صوب الام التی فرت مذعورة خلف الربوة ثم اتخذت طریقها فی بطن الوادی ممعنة فی الفرار. ألهب الصیاد ظهر حصانه مطاردا فریسته خلال الوادی. فجأة کف عن المطاردة و عاد أدراجه الی حیث هوی الصغیر یعالج جرحه النازف. کمن الصیاد خلف شجیرات الشوک بعد أن ربط حصانه فی مکان قرب الربوة و ظل یترقب. کل شیء کان هادئا ما خلا نسمات رقیقة تداعب الشجیرات الشوکیة المتناثرة هنا و هناک. ظهرت الظبیة من بعید تخطو باتجاه الصغیر خائفة تترقب؛ حرکت أذنیها تمسح المکان و حدقت عینیها الحوارین تستکشف الخطر. کان الصغیر یدعوها... فراحت تقترب رویدا رویدا... راحت [صفحه ۸۷] تمسح الجرح برفق. وضع الصیاد القاسی سهما فی کبد القوس و سدد باتجاه عین حوراء. نبت السهم الغادر فی العین فانطفأت و انکفأت الظبیة الی الوراء و قد أصابها مس من الجنون یکشف عن حجم الآلام الرهیبة التی تفجرت فی رأسها. کان الصیاد یراقب منتشیا فریسته التی راحت تدور فی الأرض قبل أن تسقط الی جوار صغیرها الذی ودع الحیاة هو الآخر. فی المساء تصاعدت رائحة الدخان ممتزجة برائحة الشواء و علت قهقهات رجل ینهش متلذذا اللحم المشوی و یکرع کؤوس الخمر. [صفحه ۸۸]

و سلاحه البکاء (۲۴)

الصحراء مد البصر بتموجات الرمال و خشخشة الأشواک. و القافلة التی حطت رحلها ثلاثة أیام فی کربلاء تنساب فی بطون الأودیة فی طریقها الی المدینة المنورة من أرض الحجاز. قافلة عجیبة أرید لها أن تصحح مسار الانسان... لیس فیها الآن الا نسوة و أطفال و فتی وحید قد ذرف علی العشرین. انها تشق الطریق صوب وطن فارقته مذعورة و تعود الیه الیوم مقهورة... تترک آثارها فی المحطات المتعاقبة و فی التاریخ. کان لها موقف فی «عذیب الهجانات» و فی «الرهیمیة»، و فی «البیضة» و فی «شراف» و فی «بطن العقبة» و فی «الشقوق» و فی «الثعلبیة» و فی «زرود» و بعدها فی «الخزیمیة» ثم فی «الحاجر» و فی «ذات عرق» و فی کل المواقف التی مرت بها القافلة یوم رام الحسین تصحیح مسار التاریخ البشری. و لما وصلت القافلة قریبا من «ثنیات الوداع» ألقت برحلها. التفت الفتی الی رجل کان قد التحق بالقافلة فی عرض الطریق: [صفحه ۸۹] - یا بشیر رحم الله أباک لقد کان شاعرا فهل تقدر علی شیء منه؟ أجاب ابن‌حذلم: - بلی یا ابن رسول الله انی لأقول الشعر. - أدخل المدینة اذن وانع أباعبدالله. انطلق الفارس صوب المدینة بشیرا و نذیرا و الی جانب المسجد انطلقت صرخة هزت المدینة و الانسان و التاریخ: یا أهل یثرب لا مقام لکم بها. قتل الحسین فأدمعی مدرار الجسم منه بکربلاء مضرج و الرأس من فوق القناة یدار ان هی الا صیحة واحدة فاذا هم من البیوت الی المسجد ینسلون. هتف أحدهم مدهوشا: - ماذا وراءک؟! صاح الفارس کأنه یخاطب العالم بأسره: - هذا علی بن الحسین مع عماته و اخواته قد حلوا بساحتکم و أنا

رسوله اليكم أعرفكم مكانه. طفحت أسئلة متعجبة... خائفة.. قلقة: - و الحسين و الرجال؟! [صفحه ۹۰] - لقد قتلوا جميعا صرعتهم القبائل و الرماح... و الظمأ.. - أين؟! - على شطآن الفرات فى أرض تدعى كربلاء. خرج أهل يثرب الى عرض الصحراء كأنهم يلبون نداء من وراء ستار الغيب. نهض الفتى ينوء بنفسه تخنقه العبرات و تضبب رؤيته الدموع.. وضع له كرسى خارج الخيمة فتهالك فوقه، يستقبل آلاف الكلمات المعزية. كانت المدينة تبكى، الأرض و الحجارة، و قلب الانسان. آن للمدن أن تغسل اثمها و عارها، آن للأرض أن تطهر ثراها، و آن للانسان أن يقول كلمته. أومأ نجل الحسين الى الناس أن اسكتوا فلما اشرأبت الأعناق قال: - الحمدلله رب العالمين الرحمن الرحيم.. مالك يوم الدين بارئ الخلائق أجمعين. الذى بعد فارتفع فى السماوات العلى، و قرب فشهد النجوى. نحمده على عظائم الامور و فجائع الدهور، و ألم الفجائع و مضاضة اللواذع، و جليل الرزء. ان الله تعالى و له الحمد ابتلانا بمصائب جليلة و ثلمة فى الاسلام عظيمة. سكت الفتى هنيهة ليروى روح الملحمة: [صفحه ۹۱] - قتل أبوعبدالله الحسين و عترته، و سبيت نساؤه وصبيته، و داروا برأسه فى البلدان. و أردف معلنا نهاية زمن الفرح و بداية حزن الانسان: - فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أى فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أية عين منكم تحبس دمعها و تضن عن انهما لها؟! لقد بكت السماوات الشداد لقتله و بكت البحار بأمواجها. و الأرض بأرجائها و الأشجار بأغصانها. و الحيتان فى لجج البحار و الملائكة و انهمرت الدموع غزيرة كسماء حزينة توشك أن تقول: - و بكاه الانسان. بركت النوق عند مسجد النبى توقظ فى الذاكرة يوما بركت فيه «القصواء». هتفت زينب و هى تأخذ بعضادتى المسجد: - يا جداه! انى ناعية اليك أخى الحسين. و صاحت سكينة: - يا جداه اليك المشتكى مما جرى علينا.. فوالله ما رأيت أقسى من يزيد و لا رأيت كافرا و مشركا شرا منه و أجفى و لا أغلظ.. كان يقرع ثغر أبى‌بمخصرته و يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين. تساءل رجل بشماتة: [صفحه ۹۲] - من الغالب؟ فأجاب فتى الحسين يعلمه سر النصر و معنى الانكسار: - اذا دخل وقت الصلاة فأذن و أقم تعرف الغالب. و سكت الرجل الشامت لا يدرى ما يقول. [صفحه ۹۳]

و سلاحه البكاء (۲۵)

عندما ينهار السد يتحول الماء الهادئ الى سيل تفقد الأشياء فيه استقرارها و ثباتها، فالأرض تهتز تحت الأقدام أصابها زلزال و البحر أمواج غاضبة، و السماء مكفهرة مخزونة بالبرق و بالرعود. لم يعد هناك شىء ثابت، كل الأشياء تهتز بشدة. أصابها مس من الجنون. لم يعد هناك معقول و لا غير معقول، كل شىء مستباح أمام خيول الغازى يزيد. هتف ابن غسيل الملائكة و قد التف حوله أهل يثرب: - أخشى أن تمطرنا السماء بالحجارة... انه رجل ينكح امهات الأولاد و البنات و الأخوات و يشرب الخمر حتى يدع الصلاة. همس أحدهم متأسفا: - و قتله الحسين سبط محمد و سبى نسائه و عياله من بلد الى بلد. قال ابن‌حنظلة: - أجل والله لأقاتلن حتى لو لم يبق معى أحد. كانت السماء تنوء بغيوم شتائية و الرياح تهب من ناحية الشمال؛ [صفحه ۹۴] و الأرض حبلى بالحوادث، و الأنباء تترى عن جيش قوامه ثلاثون ألف شامى يزحف باتجاه المدينة المنورة يحمل فى طواياه الويل و الثبور. الغيوم السوداء تعبر السماء كسفن تعصف بها ريح غاضبة. يثرب تستعد للمواجهة و قد انبرى الرجال لحفر الخندق من جديد فالأحزاب قادمون؛ و انطلق رجال من أهل المدينة الى مناهل المياه فى طريق الشام يملأونها قطرانا فقد يعرقل ذلك اندفاع القوات الزاحفة. قال أحدهم و هو يفكر فى لحظة المواجهة: - و بنو امية فى المدينة. انهم خطر يهددنا فى كل ساعة، عددهم يربو على الألف.. فماذا نفعل؟ أجاب آخر: - نجليهم عن ديارنا. - اذن سوف يدلون العدو على نقاط الضعف فى المدينة. - نأخذ عليهم العهد و الميثاق. - و متى كان هؤلاء يعرفون للعهد حرمة و للمواثيق اجلالا؟ - ليس أمامنا الا أن نقتلهم أو الجلاء. - الجلاء أفضل اذن. وصلت الجيوش «وادى القرى» و كانت السماء تبكى بصمت. قال قائد الجيش و كان مسرفا لابن عثمان: [صفحه ۹۵] - ماذا وراءك و أشر على. - لا أستطيع، قد أخذ علينا العهد و الميثاق أن لا ندل على عورة أو نظاهر الغزاة. شعر المرى بالحقد يعصر قلبه: - لولا انك ابن‌عثمان لضربت عنقك... اخرج. و التفت الى ابن‌مروان و قال بجفاء: - هات ما عندك. أجاب ابن‌مروان و قد تحفز فى أعماقه «الاسخريوطى» - نعم أنا أدلك.. و أردف و هو

یشرح له خطة الغزو: - انطلق بالجیش الی «ذی نخلة» لتکون فی مکان تحشد فیه جنودک فاذا طلع الفجر اجعل المدینة علی یسارک ثم در بها حتی تصل «الحرة» فی جهة الشرق، ثم ازحف علیهم مع شروق الشمس. نظر المری الی ابن‌مروان متفحصا و عیناه الکلیلتان تسألانه عن جدوی ذلک. قال حفید الزرقاء مستأنفا: - فاذا أشرقت الشمس فستکون فی خلف جیشک و فی عیون المدینة و ستؤذیهم فلا تجعلهم یرون سوی بریق السیوف و الرماح تبهر عیونهم و تلقی الوهن فی قلوبهم. صفق قائد الجیش متحمسا: [صفحه ۹۶] - لله أبوک أی امرئ ولد! أشرقت الشمس ذلک الیوم حمراء حمراء کعین حمئة، و قد انقشعت السحب فاذا السماء زرقة صافیة کبحر فیروزی اللون. نهضت ثلة من المهاجرین و ثلة من الأنصار، ولکن أنی لهؤلاء الوقوف بوجه الطوفان القادم من دمشق. و اشتعلت المعارک و بدت السیوف وسط الغبار. بروق تتقاتل فی الأرض، و أضحت «الحرة» معراجا للأرواح التی اختارت الحریة، و کانت أسراب الجراد تفتک فی حقل ملئ بسنابل خضر. و قبل الغروب انهار السد البشری و ردم الخندق فاذا مدینة محمد فی مهب اعصار فیه نار. [صفحه ۹۷]

و سلاحه البکاء (۲۶)

أکثر من عشرة آلاف فارس و أکثر من خمسة عشر ألف من المشاة یتدفقون صوب المدینة بعد أن أعلن قائد الغزو: - انها مباحة لکم ثلاثة أیام. برقت فی العیون الجائعة آلاف الرغبات و تأججت فی النفوس الدنیئة حمی الشهوات؛ یا لیالی السلب و النهب و الرغبات المجنونة فی أحضان العذاری، قطعان الذئاب تتدفق صوب یثرب کطوفان مدمر. السیوف الشامیة تحصد آلاف الرؤوس؛ کل شیء مستباح؛ الدماء تلون صعید الأرض الطیبة، و استغاثات مقهورة ترتفع من حنایا البیوت و المساجد. - یا محمداه... یا نبی الله.. الخیول المجنونة تدور فی الأزقة و السکک بحثا عن الذهب و الفضة و عذاری المدینة. هناک فی أعماق النفس البشریة خنزیر قابع مغلول بالسلاسل؛ [صفحه ۹۸] ولکن الشیطان قد یتسلل فی غفلة الانسان فیحطم تلک القیود و عندها یقفز الخنزیر یعربد و یدمر و ینتهی الانسان.. ربما یقتله الخنزیر أو یصرعه أو یوثقه الاکتاف. و هکذا کان.. یوم هوی الحسین فوق الثری و نام، وثب الخنزیر المصفد بالسلاسل و الأغلال، وثب مجنونا وراح یرقص رقصة الحرب و الغزو تتأجج فی عینیه الشهوات و تبرق فی رؤاه الاسلاب، ها هی الخیول الغازیة تعبر جثة الحسین و تنطلق لاستباحة العالم.. لم تبق هناک من حرمات فالکل مستباح. کانت صبیة ترکض.. مبهورة الأنفاس یطاردها ذئب.. تعثرت.. وقعت علی الأرض.. نهضت رغم جراحها هرولت کظبیة یطاردها صیاد دنیء.. اشتعلت فی أعماق الذئب حمی الشهوات. برقت عیناه کأفعی.. طاردها عبر بوابة مسجد النبی لم یطرف له جفن... لاذت الصبیة وراء قبر الرجل السماوی.. لاحقها و هو یلهث... لجأت الی المحراب... ولکن الذئب لم یعد یری شیئا، جذبها من ظفیرتها.. افترشها.. انتزع منها أعظم کنز تملکه العذاری... و لم ینس و هو یقوم عنها أن ینتزع أساور من ذهب و فضة.. لم تعد ذات قیمة فی نظر الفتاة، فترکته یفعل ما یشاء. جثم صمت مخیف فوق المدینة الحزینة و قد غادر الجنود الی [صفحه ۹۹] معسکرهم یحملون الأسلاب. کان یسیر یهز الأرض بقدمیه الغلیظتین یکاد یحرق بنظراته المشتعلة الأبواب و الکوی و جدران البیوت الطینیة. سمع و هو ینعطف باتجاه الشمال بکاء طفل رضیع. تسمر.. نهض الخنزیر علی قوائمه الأربع.. رفس الباب. وجد اما صغیرة.. کانت جالسة وسط الحجرة و قد تبعثرت حولها الأشیاء... المنظر ینم عن مرور الجنود منذ ساعة. صرخ الجندی الغلیظ: - هات ما عندک. قالت الام الصغیرة: - ما ترکوا لی شیئا... سلبونی کل شیء. اشتعل الحقد فی أعماقه.. و تأججت شهوته و هو یکاد یلتهم ثدیها بنظراته.. جذب الرضیع بقسوة و لطشه بالجدار... کانت الام الصغیرة کالعصفور بین یدیه... لم یجد معها ذهبا و لا فضة فأخذ منها شیئا آخر و غادر البیت.. و فی هذه المرة کان الطفل ساکتا و امه تبکی... تبکی کل الأشیاء.. کل الأشیاء العزیزة التی فقدتها فی لحظة من لیل الذئاب. الرؤوس تتساقط کنجوم منطفئة؛ کان قائد الغزاة یتوعد و یهدد و یشتم بعد أن أمر بالقاء القبض علی «علی بن الحسین» ذلک الفتی الذی أنجاه الله من قبل. [صفحه ۱۰۰] و جاءوا بالفتی الذی یحمل فی وجهه سیماء النبوات. الصلاة تنساب علی شفتیه.. کان یتمتم بخشوع: - اللهم رب السموات السبع و ما أظللن،

و الأرضين السبع و ما أقللن.. رب العرش العظيم.. رب محمد و آله الطاهرين.. أعوذ بك من شره و أدرأ بك فی نحره، أسألك أن تؤتينی خيره و تكفينی شره. الذين حضروا اللقاء كانوا يدركون انها النهاية و لسوف ينقطع نسل الحسين الی الأبد... ولكن ماذا حدث لكی ينقلب الموقف. فاذا الذی كان يتوعد و يهدد، و الرؤوس تتساقط بين يديه دون أن يطرف له جفن، ينهض باجلال للفتی القادم بل يقوده بنفسه ليجلسه علی سريره.. و فغر الذين حضروا اللقاء أفواههم دهشة و قد سمعوا الرجل الذی لا يعرف حرمة للدماء الآدمية يقول للفتی: - سلنی حاجتك يا أبامحمد. قال الفتی بحزن: - أسألك أن تكف السيف عن قتل الناس. أطرق القائد موافقا. قال المری متوددا: - لعل أهلك فزعوا. أجاب ابن‌الحسين: - أی والله. [صفحه ۱۰۱] هتف قائد الجيش: - أسرجوا له دابته.. و أردف مخاطبا الفتی: - لو كان عندنا شیء لوهبناك. قال الفتی و هو يستوی فوق دابته. - ما أعذرنی للأمير. و انطلق الفتی.. بعد أن أوقف مسلسل القتل و طاحونة الموت فتنفس الناس الصعداء. [صفحه ۱۰۲]

و سلاحه البكاء (۲۷)

كمن يجمع الثمار المتساقطة من شجرة تعصف بها الريح من كل مكان، كان «ابن‌الزبير» يراقب ما حوله و يجمع حوله الغاضبين علی «يزيد» بينما شجرة الاسلام تهتز من الجذور. كان «المختار» قد وصل حديثا بعد ما أطلق سراحه فی الكوفة؛ رجل دفعته الأقدار لمساندة «ابن‌الزبير» لا- لشیء سوی الثورة علی الظلم و الانتقام من قتلة أولاد الأنبياء. بدا ابن‌الزبير سعيدا بتحالفه مع المختار، هتف ابن‌الزبير بحليفه الجديد: - هيا بنا الی طريق القوافل... لقد بعثت من يأتينی بالأخبار. قال المختار و هو يحدق فی الأفق البعيد حيث تلتقی السماء بالأرض: - أری فارسا قادما من بعيد. - أجل انه هو. مرت لحظات يحسبها المنتظرون ساعات طويلة كان صدی [صفحه ۱۰۳] سنابك الحصان يرتفع شيئا فشيئا و الغبرة تقترب رويدا حتی اذا أصبح علی خطوات كبح الفارس جماح حصانه و هتف مبهور الأنفاس: - دخل الجيش المدينة و استباحها ثلاثة أيام و قتل أكثر من عشرة آلاف من أهلها.. و عرض النسوة للبيع فی الأسواق. عض المختار علی نواجذه غضبا: - اللعنة علی المری.. لم أر أكثر منه جرأة علی الدماء. قال الفارس: - انتقم الله منه... مات بعد مغادرة المدينة و عين علی الجيش «الحصين بن نمير» و أوصاه بالفتك بأهل مكة. تمتم «ابن‌الزبير»: - الحصين لا يحتاج الی من يوصيه، انه لا يقل قسوة عن أسياده. التفت المختار الی صاحبه: - ماذا تنوی أن تفعل؟ - نعتصم بالحرم فربما تردعهم حرمة الكعبة. - ولكن هؤلاء لا يقيمون للكعبة وزنا!! - سوف نری.. كما انه ليس بمقدورنا أن نفعل شيئا آخر. و تمر الأيام ثقيلة مريرة، و ليالی مكة تموج بالقلق و الهم و الترقب، و السماء تنوء بسحب سوداء كتلال من الدخان. وصلت الجيوش الغازية، و أخذت مواقعها فوق رؤوس التلال [صفحه ۱۰۴] المشرفة و علی سفوح الجبال. الجنود ينقلون المنجنيقات لتأخذ مواقعها فی القمم استعدادا لقصف المدينة التی بدت ذلك الصباح القاتم مقفرة تماما. كان «الحصين بن نمير» قائد الغزو يتطلع الی مكة و قد بدت الكعبة فی فنائها كشيخ يتعبد وحيدا. نظر الی المنجنيقات الهائلة والی كتل الحجارة المنقوعة بزيت النار.. كل شیء ينتظر اللحظة الفاصلة. لوح ابن‌نمير بسوطه فی الهواء معلنا بداية المعركة و هتف بحماس: - اقصفوهم بالمجانيق. و انهمرت كتل نارية علی بيوت المدينة و كان خط النار يقترب شيئا فشيئا من أول بيت وضع للناس... بيت بناه ابراهيم و اسماعيل. كانت خطة الاحتلال تقضی بدك المدينة بالمجانيق ثم اقتحامها بسلاح الفرسان تساندهم قوات المشاة. كانت حدة القصف تتصاعد و عينا القائد تشتعلان حقدا. حاول ابن‌الزبير بث الخلاف فی صفوف الغزاة. فأصدر أمرا بالاعتصام بالحرم. كانت كتل النار تهوی فی واد غير ذی زرع؛ زعق ابن‌نمير و هو يری فتور القصف: - اقصفوهم بشدة. هتف جندی: [صفحه ۱۰۵] - انهم يعتصمون بالكعبة؟! - اقصفوا الكعبة اذن... أيها الأحمق. و أردف مبررا: - نحن ننفذ أمر الخليفة.. هل تفهم؟ كانت كتل النار تنفجر فی باحة الحرم.. تتشظی.. و شبت النار فی جدران الكعبة، و كانت السماء تشهد اصطكاك الغيوم فاشتعلت البروق و ضربت الصواعق منجنيقا فأحرقته مع جنود كانوا حوله. أراد ابن‌نمير حسم الموقف بدفع فرسانه و أعقبهم بالمشاة. دارت معارك ضارية فی الحرم، و قد شوهد المختار يقاتل ببسالة و هو يهتف فی جنوده: - دافعوا عن بيت الله. و فی ذری التلال كان

ابن‌نمیر یتلقی نبأ وصله توا من دمشق: - لدی نبأ هام أیها القائد. - تکلم!! لقد توفی الخلیفة. بلع القائد ریقه و حشرج بصوت مکتوم: - ماذا تقول؟!.. اکتم الخبر ما استطعت. غیر ان خبرا کهذا لا یمکن اخفاؤه.. لکأن روح الشیطان تتراجع منذ اللحظة التی ذهب فیها یزید الی مصیره المجهول فی رحلة صید. [صفحه ۱۰۶]

و سلاحه البکاء (۲۸)

ما أسهل علی المرء أن یهدم و یدمر، و ما أیسر أن یجتث شجرة معمرة من جذورها، ولکن ما أشق البناء، انه یحتاج الی فکر و تأمل و تدبر فالبناء تحکمه قوانین وزراعة الأشجار تحتاج الی صبر. البناء بصیرة و فکر و تأمل، و العدم قوة عمیاء تتخبط کیف تشاء. انها محنة البناة فی زمن التداعیات.. فی زمن الانهیارات التی لا یوقفها شیء. لقد اختفت الروح التی کانت تحرک التاریخ و تصنع الانسان و استیقظت الغرائز لا.. بل انطلقت مجنونة فی زمن انطفأت فیه الشمس، فاذا لیل الجزیرة ینوء بظلمات بعضها فوق بعض. و بین الفینة و الاخری تتألق حلقات من ضوء تستمد جذوتها من روح مشتعلة فی کربلاء. هناک و علی شاطئ الفرات جرح یفور یتحدث بلغة عجیبة. تبث الأرض أسرارها، و النفوس المقهورة تحلم بحیاة أفضل. التاریخ یشعل الحوادث هنا و هناک. [صفحه ۱۰۷] فر الأرقط الی الشام ترکا العراقین خلف ظهره؛ تطارده روح الحسین. الثمار تتساقط فی قبضة «ابن‌الزبیر» خلیفة الحجاز و العراق و مصر و أجزاء من الشام؛ و قد شبت النار فی داخل البیت الاموی، و ابن‌الزرقاء یستولی علی دمشق عاصمة الشام و یسترد مصر، ثم یموت مخنوقا فی فراشه، خنقته ام خالد التی تزوجها بعد هلاک یزید!! کان عبدالملک جالسا یقرأ القرآن عندما بشر بموت أبیه و الخلافة... مرت لحظات صمت ثم أطبق المصحف و تمتم مخاطبا کتاب السماء: - هذا فراق بینی و بینک. و کشر الخلیفة الجدید عن أنیاب حادة و بدأ حربه من أجل استعادة الملک... فکان الأرقط قائده الأول فی حملة لاستعادة الأرض العراقیة، و تحرک جیش قوامه ثمانون ألف. و فی الکوفة استیقظ الآلاف من خدر قدیم و أعلنوا توبتهم من اثم ارتکبوه قبل سنین. و کان «سلیمان بن صرد» رجل خزاعة زعیما للتوابین، و اشتعلت الثورة فی النفوس و التهبت الضمائر و تحرک أکثر من أربعة آلاف انتحاری صوب کربلاء کعبة الأحرار فی العالم؛ لتشهد تلک البقعة من دنیا الله أعظم مناحة فی التاریخ، فالثورة دماء و دموع، سیوف و ضمائر ملتهبة، أفکار و نفوس تتأجج بغضب سماوی. و هکذا ولد الحسین من جدید سیفا.. قرآنا.. صهیلا مخزونا [صفحه ۱۰۸] من لحظة عاشوراء. المعارک تشتعل فی کل مکان و قد غادرت السیوف أغمادها ولکن هناک معرکة فی میدان عمیق... معرکة فی داخل النفس البشریة لم یحسم الصراع فیها بعد. منذ هزیمة الروح فی شاطئ الفرات بصفین.. منذ ذلک التاریخ و الضمیر المثقل بالخدر یعانی حمی الانتفاض، و لقد انبعثت نافورة الدماء بکربلاء لتطهر النفوس و تبعث الحیاة فی الرماد. فی لحظة تشبه یوم القیامة فی لحظات المعاد. و هکذا أراد الحسین... رسم بدمه ملحمة الموت من أجل الحیاة، و الفارس الذی حطم جدار الزمن ما یزال یقاتل. أصداء صهیل فی عاشوراء تدوی فی النفوس.. تنتزع من قلب الشتاء الربیع، و من رحم الموت الحیاة؛ و من أجل هذا کان علی لا یفتأ یبکی أباه. الدموع ینبوع یغسل القلوب... یطهر الضمائر من کل أدران الحیاة... و عندها ینبعث الحسین. [صفحه ۱۰۹]

و سلاحه البکاء (۲۹)

غادر «المختار» الحجاز عائدا الی الکوفة یحمل فی أعماقه غضب الثورة. و فی الکوفة اجتمع «الأشراف» الی الأمیر «عبدالله بن مطیع» حاکم الکوفة من قبل «ابن‌الزبیر». تمتم عمر بن سعد محذرا: - أیها الأمیر! ان المختار أشد خطرا من «سلیمان بن صرد». ان سلیمان قد خرج من الکوفة لقتال أهل الشام أما المختار فانه یستعد للوثوب فی الکوفة. و همس «شبث بن ربعی»: - أری أن تودعه السجن أیها الأمیر... و أردف و هو یحک ذقنه: - من الأفضل أن نتغدی به قبل أن یتعشی بنا. أجاب الأمیر و کان یتهیب اعتقال المختار: - لا تخشوا شیئا.. فرجالی یراقبون کل شیء. [صفحه ۱۱۰] تساءل شبث: - حتی تردد «ابن‌الأشتر» علی منزل المختار؟!! صوب الأمیر

نظرات متسائلة: - ماذا تعنی؟ - أیها الأمیر.. أری أشباحا تتسلل فی الظلام.. و أری رجالا یشترون السلاح فی ضوء النهار. - و هل فی هذا ما یخشی.. ثم ان المختار کان یحارب الی جانب «ابن‌الزبیر» فی مکة.. - کل هذا صحیح ولکن المختار یضمر الانتقام ممن شارک فی قتل الحسین. تثاءب الأمیر و تململ فی جلسته. لقد مر شطر طویل من اللیل.. نهض متثاقلا و سأل: - ألا تنصرفون الی بیوتکم؟! تبادل الجلوس نظرات قلقة. قال ابن‌سعد بلهجة فیها استعطاف: - ان أذن لنا الأمیر أمضینا اللیلة فی القصر. و استدرک: - و اللیالی المقبلة أیضا. همس شبث بقلق: - النوم لا یزورنی فی البیت... و کیف یغمض لی جفن و أنا أسمع [صفحه ۱۱۱] خطی تجوس فی الظلام. ألقی الأمیر نظرة استخفاف و غادر المکان. خیم صمت ثقیل. قال «الأبرص» الذی ظل ساکتا کل ذلک الوقت: - هل سمعتما أخبارا جدیدة؟ - جاء رسول من المدینة یحمل کتابا من «محمد ابن الحنفیة» الی المختار. - ماذا کان فحواه یا تری؟! - مهما کان فان المطلوب هو رؤوسنا. نظر ابن‌سعد حوالیه بحذر و قال بصوت خافت: - لا تنسوا ان «ابن‌زیاد» قادم علی رأس ثمانین ألفا من جنود الشام. - و هل تعتقد انه سیغفر لنا بیعتنا «لابن الزبیر»؟ - انه یعرف - رأینا جیدا و لن یجد أفضل منا أعوانا له. نهض الثلاثة و أخذوا طریقهم الی سلالم تؤدی الی سطح القصر... کانت السماء مرصعة بالنجوم و نسمات باردة تهب برفق.. و صمت ثقیل یغمر الکوفة ما خلا سنابک خیل الدوریات و هی تجوب أزقة المدینة الغارقة فی الظلام. [صفحه ۱۱۲]

و سلاحه البکاء (۳۰)

مثلما تشب النار فی أکوام التبن، اشتعل حریق الثورة فی الکوفة مدینة من رماد فی طوایاها جذوة نار أوقدها رجل هوی علی شاطئ الفرات ککوکب دری. دوت شعارات الثورة فی لیلة خریفیة عاصفة... و استیقظ النائمون علی صیحات الثائرین: یا لثارات الحسین. و فرت الرؤوس المطلوبة، و تساقط بعضها کما تتساقط الثمار الفاسدة. سقط رأس ابن‌سعد، فیما فر شبث الی البصرة الی أحضان ابن‌الزبیر، و فر أثره الأبرص لا یلوی علی شیء. و انطلقت خیول عربیة تبحث عن الذین کفروا انهم لا ایمان لهم. أحاطت الخیول بخیمة فی «الکلتانیة» و خرج الأبرص مرعوبا بیده رمح. حانت لحظة القصاص؛ و سقطت ثمرة فاسدة، و عادت الخیول تزف البشری الی القلوب المقهورة. [صفحه ۱۱۳] طارت الأنباء الی المدن القریبة و البعیدة کفراشات ملونة تبشر بالربیع. کان «قصر الامارة» الذی شهد آلاف الجرائم قد حولته الثورة الی محکمة کبری للاقتصاص من المجرمین. دخل المنهال الذی عاد توا من رحلة الحج قصر الامارة یبلغه تحیات أهل بیت مقهور. کان الجنود یجرون رجلا تکاد حدقتاه تفران رعبا. نظر المختار الیه بغضب: - أنت حرملة بن کاهل؟ - أجل. قال بلهجة ساخرة: - اذن حدثنا عن شجاعتک یوم «الطف». أطرق الرجل الفأر رأسه: - کان الحسین یحمل طفله الرضیع و یطلب من الجیش قطرة ماء.. فلقد جف لبن امه من العطش و الظمأ و الحصار. - و هل سقیتموه. - کلا. - ألم یکن معکم ماء؟ - کان الفرات یموج بالمیاه. - ماذا فعلت یا رجس؟ [صفحه ۱۱۴] - من بعید بدت رقبة صغیرة تتألق فی الضوء، کانت ناصعة کالقطن. وضعت سهما فی کبد القوس. کان السهم حادا نفاذا ذبح الطفل من الورید الی الورید.. و هکذا أراد ابن‌سعد. - ماذا صنع الحسین فی تلک اللحظة؟ - نظر الی الطفل ثم ملأکفه من الدماء المتدفقة و رمی بها نحو السماء.. و هتف بصوت سمعه الکثیرون.. - ماذا قال یا وغد؟ - کان ینظر الی السماء و کأنه یخاطب ملکا عظیما. هتف عالیا: اللهم لا یکون أهون علیک من فصیل ناقة صالح. دمعت کل العیون. کان «المنهال» یبکی بصمت و قد اشتعل غضب مقدس فی الأعماق.. حتی نسی کل ما یدور حوله.. انتبه الی نفسه علی صوت غاضب: - الحدید و النار.. اقطعوا یدیه و رجلیه و القوه فی النار. کذلک جزاء المجرمین. فغر المنهال فمه دهشة و هو ینظر الی ما یجری حوله فهتف: - سبحان الله.. سبحان الله. التفت المختار: - التسبیح حسن ولکن لم سبحت؟ - لما ذهبت الی المدینة بعد الحج مررت بمنزل علی بن الحسین.. [صفحه ۱۱۵] کانت الدموع تملأ عینیه فسألنی: ما فعل حرملة بن کاهل؟ قلت له یا سیدی ترکته بالکوفة حیا. فرفع یدیه الی السماء و تضرع بصوت شجی قائلا: اللهم أذقه حر الحدید اللهم أذقه حر النار.. و ها أنا أمامی کیف تجاب دعوة عبد صالح.. هتف المختار مأخوذا: - الله.. الله أسمعت علی بن الحسین یقول هذا؟! - الله... الله لقد سمعته یقول هذا.. و

الله ان كلماته ما تزال تتردد فی اذنی. و هوی المختار ساجدا لله.. قال المنهال متوددا: - ألا تتغدی عندی اليوم أيها الأمير. تمتم و قد غمرت وجهه مسحة شفافة من النور: - هذا يوم صوم شكر لله. [صفحه ۱۱۶]

و سلاحه البكاء (۳۱)

كما تشير البوصلة الی قطب الشمال. كان هناك شیء ما يتجه من بعيد يشير الی بقعة علی شطآن الفرات... الی منائر تنبعث من أعماق المياه.. شیء يشبه الروح تفصح عنه الحوادث كما تفصح الأرض عن سر البذار. مضی التاريخ يشعل الحوادث هنا و هناك. الخيول تهز الأرض و تثير الغبار.. تغير علی المدن، فی العراقين و فی الحجاز. فقد الانسان العربی طمأنينته.. و رحل زمن السلام، و هاجرت الروح بعيدا. و عندما تغيب الروح، تنطفئ الجذوة المشتعلة التی تضیء للانسان طريقه فی الحياة. بدت الكعبة ذلك العام كسفينة وسط أمواج بشرية متدافعة. تمتم «زين العابدين» بحزن: - ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج.. وقف سعيد بن المسيب وسط حشود القراء ينتظرون رجلا [صفحه ۱۱۷] يدعوه الناس بألقاب؛ فاذا قيل «ذو الثفنات» أو «سيد العابدين» أو «زين العابدين» أو «السجاد» أو «الزكی» أو «الأمين» فان الأذهان تنصرف الی شاب فی الثلاثين من عمره.. عليه سيماء النبوات و قد رسم الحزن لوحة فی عينيه تموج فيها غيوم مخزونة بالمطر. - ها هو قادم. هتف أحد القراء و قد أشار الی جهة تفضی منها قوافل الحجيج. ورنت الأبصار الی نبع الطمأنينة فی دنيا كل ما فيها يدور بعنف. تهفو له القلوب الحائرة و هی تبحث عن طريق السماء بعدما تشابهت عليهم السبل. انطلق الركب باتجاه الشمال الی حيث هاجر محمد من قبل؛ سفن الصحراء تطوی المسافات الزاخرة بالرمال. مالت الشمس نحو المغيب، و ألقت السفن مراسيها ليلتقط المسافرون أنفاسهم. ثمة شجيرات تحيط بغدير ماء؛ و مضارب لخيام بعيدة، و نسوة يحملن جرار الماء و يتجهن صوب الخيام. غابت الشمس وراء كثبان الرمال؛ و بدت ذری التلال متقدة بضوء يفور حمرة. شمر «زين العابدين» عن مرفقيه و راحت مياه الوضوء تنثال علی وجه مضیء فتتساقط حباتها محدثة نغما هادئا. اتجه حفيد النبی بكليته الی البيت المعمور و كبر للصلاة. بدا [صفحه ۱۱۸] كتمثال منحوت بخشوع ما خلا نسمات كانت تحرك ثيابه البيضاء برفق. خيم صمت مهيب لكأن روح الانسان و هی تتصل بسبب الی السماء تهيمن علی كل ما حولها و من حولها من شجر و حجر و آدميين. هوی الكائن الأبيض ساجدا للحقيقة الوحيدة؛ كحمامة تبشر بالسلام. انبعثت كلمات أخاذة لكأنها نهر يتدفق من جنات الفردوس، تنساب هادئة معبرة تمسح علی القلوب فتهبها السكينة و علی الرمال فتغمرها خشوعا و جلالا النبع المتدفق يسحر الكائنات بتسبيح الانسان: سبحانك اللهم و حنانيك سبحانك اللهم و تعاليت سبحانك اللهم و العز ازارك سبحانك اللهم و العظمة رداؤك سبحانك اللهم و الكبرياء سلطانك سبحانك من عظيم ما أعظمك سبحانك سبحت فی الأعلی... تسمع و ترى ما تحت الثری. سبحانك أنت شاهد كل نجوی سبحانك موضع كل شكوی سبحانك حاضر كل ملأ [صفحه ۱۱۹] سبحانك عظيم الرجاء سبحانك ترى ما فی قعر الماء سبحانك تسمع أنفاس الحيتان فی قعور البحار سبحانك تعلم وزن السموات سبحانك تعلم وزن الأرضين سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور سبحانك تعلم وزن الفیء و الهواء سبحانك تعلم وزن الريح كم هی من مثقال ذرة سبحانك قدوس قدوس قدوس سبحانك عجبا من عرفك كيف لا يخافك سبحانك اللهم و بحمدك سبحان الله العلی العظيم أمر عجيب! ماذا حدث؟ ما هذا الدوی الذی تردده الكائنات لكأن صوت الانسان قد فجر فی مكنوناتها الأسرار كما تنفجر من الصخر ينابيع الحياة فی لحظة تماس مع الغيب. الأشواك و ذرات الرمال و الشجيرات المتناثرة هنا و هناك تردد بصوت يشبه دوی النحل فی نخاريبها: سبحان الله.. سبحان الله. مرت لحظات مشحونة سمع فيها أبناء آدم و قد عادوا من الحج الأكبر تسبيح الكائنات. [صفحه ۱۲۰] فغرت الأفواه دهشة و انعقدت الألسن فی اللحظة التی يلج فيها ابن آدم عالم الملكوت. رفع الذی عنده علم الكتاب رأسه من الأرض و التفت الی ابن‌المسيب: - أفزعت يا سعيد؟ أجاب سعيد و قد ثاب الی رشده: - نعم يابن رسول الله... - هذا التسبيح الأعظم.. سكت هنيهة ثم أردف: - حدثنی أبی عن جدی رسول الله لا تبقی الذنوب مع هذا التسبيح، و ان الله جل جلاله لما خلق جبريل ألهمه هذا

التسبیح و هو اسم الله الأکبر. عادت الأشیاء الی طبیعتها و آب الانسان الی عالمه حیث الأشجار صامتة و ذرات الرمال غافیة منذ آلاف السنین؛ و بقی الانسان یتذکر لحظة قدسیة ولج فیها الملکوت ثم عاد الی طبیعته مرة اخری. [صفحه ۱۲۱]

و سلاحه البکاء (۳۲)

الأرض العربیة تهتز تحت حوافر آلاف الخیول و هی تغیر علی المدن فتشتعل المعارک، و یتصاعد دخان الحرائق لیحرق العیون.. کل العیون. شبت النار فی «عین الوردة» و قد قتل صحابة کانوا حول الرسول و امتد الحریق الی «الموصل» هناک علی شطآن «الخابور» قبل أن یرفد «دجلة» ملحمة یسقط فیها رأس «الأرقط»، و تشب النار فی بطائح الفرات فی ثورة للزنوج ثم تندلع فی الحیرة لتحرق الکوفة و یقاتل المختار وحیدا فی أزقتها و تتقدم زوجته بشجاعة الی لحظة الاعدام لتکون أول امرأة تقتل صبرا فی تاریخ الاسلام. الکوفة تستسلم لعبد الملک، و الحجاج بن یوسف یشدد الحصار علی مکة و یقصف الکعبة بالمنجنیقات. الکعبة تحترق مرة اخری و قد سجر الشیطان نیرانه و الجیوش الغازیة تقتحم مکة فیرتفع ابن‌الزبیر علی أعواد الصلیب. حتی اذا دخل الخریف و قد مرت سبعة قرون علی میلاد المسیح [صفحه ۱۲۲] کان عبدالملک قد بسط سطوته علی الأرض الاسلامیة من خراسان الی «قرطاجة». خیم سلام المقابر فوق الأرض، بعد أن أخمدت الأنفاس فی «دیر الجماجم» لیبدأ عهد جدید.. عهد الارهاب، و قد تسلط وحش کاسر یدعی «الحجاج» علی مشارق الوطن المقهور. و استیقظت فی الذاکرة أحادیث قدیمة... کلمات نقلها الرواة حول رجل یأتی فی آخر الزمان یحیل سنوات الرماد الی أعوام خصب، و قد ولد الربیع و استیقظت مواسم البذار؛ و البیادر تموج بحب الحصید. نظر ابن‌جبیر الی سیماء النبوات تطوف فوق جبین حفید النبی، تفجر نبع حب فی القلب حتی فاضت کلمات: - انی لأحبک فی الله حبا عظیما. أطرق ابن‌النبی ثم رفع رأسه الی السماء و هتف بخشوع: - اللهم انی أعوذ بک أن أحب فیک و أنت لی مبغض.. و التفت الی سعید و قال: - و انی لأحبک للذی تحبنی فیه. خیم صمت حزین و قد اشتعلت مشاهد قانیة فی ذاکرة الرجل الکوفی: - حدثنی یا سیدی عن المهدی. أدرک ما یجول فی خاطر رجل مقهور ضاقت علیه الأرض بما [صفحه ۱۲۳] رحبت و هو یروم العودة الی الکوفة الی حمامات الدم المراق بلا ذنب. قال سلیل النبوات: - فی المهدی یا سعید سنة من سبعة أنبیاء من أبینا آدم و من نوح و ابراهیم و موسی و عیسی و أیوب و سنة من محمد... فمن آدم و نوح طول العمر، و من ابراهیم خفاء المیلاد و اعتزال الناس و من موسی الخوف و الغیبة و من عیسی اختلاف الناس فیه و من أیوب الفرج بعد البلاء و من محمد الخروج بالسیف. أطرق ابن‌جبیر یتأمل فی ملامح القادم الأخضر... الذی یملأ الأرض قسطا و عدلا فلقد ضجت ظلما و جورا. غادر سعید أرض الحجاز متوغلا فی الصحراء العراقیة. ودع عوالم السلام فی مکة و المدینة و دخل الأرض الحزینة التی ما تزال تبحث عن أبنائها و لما تفقد الأمل بعد. [صفحه ۱۲۴]

و سلاحه البکاء (۳۳)

جلس الحجاج فی قصره المنیف الی یمینه «تیاذوق» و الی شماله «تاودون» تبرق عیونهما حقدا علی الأشیاء التی تنبض بالحیاة.. علی القلوب التی تخفق بالحب حتی ان المرء لیعجب کیف أصبحا طیبین. رائحة الدم تزکم الأنوف.. صمت مهیب یغمر المکان، و قد بدا القصر مسحورا... العیون جامدة کأحداق زجاجیة و القلوب مقدودة من صخور صماء قاسیة. کان «الحجاج» ینتظر غریما طالما جد فی البحث عنه و ها هم یرسلونه مخفورا من مکة. ارتفعت جلبة فی باب القصر. عرف الحجاج انهم قد جاءوا به. لیس جلد الأفعی و صوب نظرات حارقة الی الباب. و دخل رجل لا یخشی أحدا الا الله... کان هادئ القسمات مطمئنا... لا تعلو وجهه تلک الصفرة التی تغشی من فی قبضة الجلادین. تمتم الحجاج ساخرا و هو یصعد النظر فی غریمه: [صفحه ۱۲۵] - أنت شقی بن کسیر؟ أجاب بغیر اکتراث: - امی أعرف باسمی. - لقد سمعت انک لم تضحک قط. - لم أر شیئا یضحکنی.. و کیف یضحک مخلوق من طین. - ولکنی أضحک. - کذلک خلقنا الله أطوارا. - هل رأیت شیئا من اللهو. -... صفق الحجاج بیدیه.. فوقف المطربون صفا، و ارتفعت

أصوات الأبواق، و صدح الناى، و علا الضرب على الأعواد. و بكى سعيد... انهمرت دموعه كغمامة حزينة. تمتم «الجلاد» حانقا: - مالك تبكى؟ - لقد تذكرت أمرا عظيما. لقد ذكرنى البوق بيوم النفخ فى الصور.. و هذا العود نبت بحق و قطع للباطل و الفساد. - أنا قاتلك لا محالة. - الموت مصيرنا جميعا. - أنا أحب الى الله منك. - الله وحده علام الغيوب. [صفحه ۱۲۶] - أنا مع خليفة المسلمين و أميرالمؤمنين. -... أشار الذى بقبضتيه السوط و السيف فجاء جلاوزة يحملون الذهب و الفضة... و رمى الجلاوزة سحرهم الذى يخطف بالأبصار.. التفت الحجاج الى الرجل المكبل بالأغلال: - ما رأيك فى هذا؟ - هذا حسن ان قمت بشرطه. - ما هو شرطه؟ - أن تشترى به الأمن يوم الفزع الأكبر. - الويل لك. - الويل لمن زحزح عن الجنة فهوى فى قعر الجحيم. صرخ الحجاج بعصبية: - اضربوا عنقه. قال المحكوم بالموت: - حتى أصلى ركعتين. اقترب «تاودون» من الأسير. وضع اذنه على بقعة صغيرة فى أعلى اليسار من القفص الصدرى. أرهف السمع... كان يتوقع ان القلب المحكوم بالموت سيتحول الى طبل يدق بعنف... يطلق صيحات الاستغاثة و الرعب. القلب [صفحه ۱۲۷] المؤمن يخفق بهدوء. - أمر عجيب. تمتم الطبيب و راح يتفرس فى وجه الرجل العجيب... كل شىء يبدو هادئا لكأن هذا الرجل ليس محكوما بالفناء... انه ينظر الى الموت باستخفاف.. لربما يحسبه قنطرة يعبر خلالها الى عالم مفعم بالسلام. و توجه الرجل الذى أوشك على الرحيل الى عالم لا نهائى. الصلاة تنساب من بين شفتيه كنهر هادئ: - وجهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض. صرخ الحجاج: احرفوه الى قبلة النصارى: النهر الهادئ يتدفق سلاما: -أينما تولوا فثم وجه الله.. و انطلقت دعوة المظلوم تشق طريقها نحو السماء: - اللهم لا تترك له ظلمى و اطلبه بدمى و اجعلنى آخر قتيل يقتله من امة محمد... و ارتفع سيف الجلاد ليهوى و يهوى معه رأس ما انحنى لغير الله... و سمع الحاضرون صوتا مهيبا: - الله أكبر... الله أكبر... كان الحجاج ينظر متلذذا الى الدماء و هى تتدفق من الأوداج. [صفحه ۱۲۸] الدماء تتدفق.. تتدفق. فغر الحجاج فاه! انه لم ير كهذا الدم الذى يشخب كالميزاب. التفت الى «تياذوق» متسائلا يطلب جوابا لهذا الدم الذى يتدفق بلا انقطاع. قال طبيب الجلادين: - ان كل الذين قتلتهم كانوا خائفين... تجمد الدم فى عروقهم قبل أن يموتوا.. ماتوا قبل أن يقتلوا.. أما هذا؟! - تكلم! - لم يمت حتى بعد القتل.. صرخ الحجاج كمن أصابه مس من الجنون: - مالى و لسعيد بن جبير! [صفحه ۱۲۹]

و سلاحه البكاء (۳۴)

وقف «عبدالملك» فى شرفة «قصر الخضراء» ينظر الى المساحات الخضراء الممتدة.. و ينابيع المياه المتدفقة؛ و هى تندفع خلال الأشجار. شعر بضيق فى صدره كان يقلب رسالة من الحجاج حاكم المشرق الذى ثبت له أركان الحكم بقوة الحديد و النار. فيها كلمات تكاد تكون انذارا: اذا أردت أن يسلم لك ملكك فاقتل على بن الحسين... - أمر عجيب.. تمتم عبدالملك و هو يغادر الشرفة و أردف: - انه يبدو بعيدا عن شؤون الدنيا منصرفا عن الحياة منزويا فى بيته يدعو... و يبكى ليس غير.. و ها هو الحجاج يقول بأن الخطر يكمن فى هذا الرجل!! - لا.. لا.. هتف الخليفة.. بصوت مبحوح و أردف: [صفحه ۱۳۰] - لن ألغ فى هذا الدم. لقد رأيت بام عينى ماذا فعلت دماء الحسين من قبل.. كيف أحرقت آل أبى‌سفيان و لم تبق لهم باقية. ولكن سأحصى عليه حركاته و سكناته.. سأخنقه بالجواسيس، اما القتل فلا.. دخل الحاجب يحمل بيده رسالة من وراء الحدود. فض الخليفة الختم باهتمام فهى من القيصر جوستنيان امبراطور الروم. و حضر المترجم قبل استدعائه. كاد الخليفة أن ينهار على الأرض و هو يصغى كلمات فيها تهديد و وعيد... و غطرسة: - أكلت لحم البعير الذى هرب عليه أبوك من المدينة.. لأغزونك بجنود مئة ألف و مئة ألف و مئة ألف. هتف الخليفة مذعورا و هو يتصور تدفق آلاف الجنود عبر الحدود لتأتى على كل ما حققه من انتصارات و يصبح ملكه فى خبر كان... ليس الحرب هو مصدر الخطر.. هناك سلاح آخر أكثر فتكا. لسوف يقطع عن دولة الاسلام النقد. و هذا يعنى خراب البلاد. تمتم و هو يتهالك على سرير كبير محلى بالذهب: - أحسبنى اشأم مولود ولد فى الاسلام. نشر المساء ظلاله و بدا قصر الخضراء فى غمرة الظلمة الخفيفة [صفحه ۱۳۱] بومة جاثمة تترقب شيئا ما. كان ضوء القناديل يتدفق من نوافذ القصر فبدت مساقط الضوء كدنانير ذهبية.. أو هكذا

کان خطر فی بال «الخلیفة» و هو یتأمل دینارا رومیا فیه کلمات عن الأب و الابن و الروح القدس... حضر علیة القوم و أخذوا أماکنهم و هم ینظرون من طرف خفی الی حاکم البلاد من شرق خراسان الی أطراف «قرطاجة». طوح الخلیفة المهموم بالدینار فی الفضاء فسقط علی البلاط المرمری محدثا رنینا ساحرا. هتف بغیظ: - سوف یقطعون عنا النقد.. فغرت بعض الأفواه... و اتسعت بعض العیون دهشة و هم یصغون الی أنباء قادمة من وراء الحدود... القیصر یطلب المزید... لم تعد تقنعه مئات الخیول العربیة التی تدفعها الخلافة الاسلامیة منذ عهد معاویة و الی الیوم... لم یعد یرضیه مئات العیسویین الذین یرغبون بالنزوح الی القسطنطینیة.. و لا آلاف الدنانیر فی کل جمعة. ها هو یرید التنازل عن مزید من الأراضی التی حررتها خیول الفتح. هتف الخلیفة بصوت یشبه الاستغاثة: - ماذا أفعل؟ کان الصمت هو الرد الذی تلقاه.. تمتم «روح بن زنباع» من أقصی المجلس... ترددت کلماته رغم [صفحه ۱۳۲] خفوتها و ترددها: - انک لتعلم الرأی و الخلاص من هذا المأزق. هتف عبدالملک کمن یتشبث بعمود من سفینة محطمة وسط المیاه: - ویحک من تعنی؟ قال الشیخ الذی عرکته السنون: - الباقی من أهل بیت النبی. صوت اختلج فی أعماق عبدالملک لم یسمعه أحد: - یا لی من أحمق؛ لماذا لم یخطر علی بالی ذلک. [صفحه ۱۳۳]

و سلاحه البکاء (۳۵)

خف عبدالملک لاستقبال شاب لم یبلغ العشرین بعد، یحمل معه خطة الخلاص... کان الاستقبال حافلا... وقف علیة القوم یتطلعون الی وارث الأنبیاء. کان الخلیفة علی أحر من الجمر لسماع ما یحمله محمد عن أبیه. نظر الی ضیفه باجلال و فی عینیه سؤال کبیر. ابتسم محمد و قال: - الرأی أن تبعث له برسالة تستمهله فیها مدة من الزمن... - ثم؟! - ثم اجمع ما استطعت من الذهب و الفضة. - و بعد؟ - و ابدأ بصک الدرهم و الدینار... ولیکن فیها شعار الاسلام.. قل هو الله أحد و محمد رسول الله.. - و بعد! [صفحه ۱۳۴] - فاذا فرغت من ذلک امنع تداول النقد الرومی و اعرض النقد الاسلامی بدلا عنه.. و سن لذلک العقوبات لمن یخالف ذلک. کان «روح» یصغی باعجاب لما یسمع فتمتم فی نفسه: - الله أعلم حیث یجعل رسالته. انطلقت فی الصباح الباکر خیول بلق، تنهب المسافات الی المدن و الحواضر، تحمل رسائل متشابهة بالغة السریة. شهدت أسواق الذهب و الفضة حرکة غیر عادیة... و کانت الحلی الذهبیة تختفی شیئا فشیئا... و النسوة یبعن أقراطهن و قلائدهن مقابل مبالغ مغریة. و نشأت معامل لصک الدنانیر الذهبیة.. و بدأ العمل بانتاج النقد الجدید و ظهر لأول مرة فی التاریخ الدینار الاسلامی یتألق یحمل نداء التوحید و شعار الرسالة المحمدیة. ودع محمد مدینة دمشق بعد أن اطمأن الی زوال الخطر... کان یحمل معه نماذج من النقد الجدید، و فیها نقوش تشیر الی مرور اربعة و سبعین سنة علی بدء التاریخ الهجری و قیام الدولة الاسلامیة. وقف عبدالملک یشیع ضیفه بنظرات متأملة فیها حذر و قلق بدأت تساوره من ابناء علی... فهؤلاء یمثلون القمة فی کل شیء...حتی الشباب منهم. انه لن ینسی جلوسه مع «محمد» جلسة التلمیذ فی حضرة استاذه... لم تشفع له ابهة الملک أمام هیبة ابن علی... سیبقی علی و ابناؤه هاجس الملوک علی مر الأیام. [صفحه ۱۳۵] غاب الضیف عن الأنظار، و انکفأ الخلیفة نحو أروقة قصره المنیف و هو یفکر فی رسالة الحجاج التی بعثها الیه قبل شهور. کما یطرد المرء ذبابة حطت علی أنفه طرد عبدالملک فکرة قتل «ابن‌الحسین» و تمتم فی نفسه: - لا.. لا.. کفانی ما سفکت من الدماء.. نظر الی أکیاس طافحة بالدنانیر الاسلامیة فشعر بالثقة تملأ نفسه... استدعی کاتبه لیسطر له ردا قویا یلیق بدولة الاسلام الی جوستنیان الثانی... ردا یحطم غروره الی الأبد؛ و أرفق مع رسالته نقودا اسلامیة. [صفحه ۱۳۶]

و سلاحه البکاء (۳۶)

مرت أعوام و أعوام و التاریخ ما انفک یشعل الحوادث. خیول الاسلام تدق أبواب «مرعش» من أرض روم، و توغل فی السند فی بلاد ماوراءالنهر، و المعارک مع الکاهنة مازالت ضاریة. و قد ثار «الأزارقة» فی «کازرون» ثم فی «الجزیرة» و ثار «ابن‌الجارود» علی

الحجاج، و ثار الزنـج فى البصـرة بزعامـة «شـيرزاد». الروم يغيرون على «قرطاجـة» من أرض المغرب. و البادیـة العربية تردد قصة عشـق بدويـة «توبـة» يهيم بحب «ليلى الأخيليـة» و قـد رفض أبوها تزويجها و هدد الخليفة العاشق اذا شـبب بها. قال لها عبدالملك: - ما رأى منك توبة حتى عشقك؟ فأجابت على الفور: - ما رأى الناس منك حين جعلوك خليفة؟! و أراد أن يعرض بها فسأل: [صفحه ۱۳۷] - هل كان بينك و بينه ريبـة؟ - لا والله.. ولكنه قال لى كلمـة ظننت انه خضع فيها لبعض الأمر فقلت له: و ذى حاجـة قلنا له لا تبح بها فليس اليهـا مـا حييت سبيـل لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه و أنت لأخرى صاحب و خليل و لما ماتت ليلى فى «ساوة» حلقت فى سـماء البوادى قصـة عاشـقين.. و تناقل الناس حكايـة حب جديـدة بين بثينـة و جميل، من بنى عـذرة، و قـد مات الحبيب فى مصـر بعيدا عن حبيبته. خيول الاسـلام تنـدفع باتجـاه أرمينيـا، و فى جبهـة ماوراءالنهر يسـتمر الفتـح حتى «خوارزم» فـ«شومان» و الى مدينـة «ترمـذ». و الطاعون يجتاح مصر، ثم الشام و العراق، و يموت عبدالملك، فيتربع على العرش ابنه «الوليد» و تتصاعد و تيرة «الفتح» لتتخذ لها صبغة الاحتلال و التوسع، و يتدفق سـيل الغنائم و سبى عذارى البلدان المفتوحة. و تفتح «طنجة» فى أقصى المغرب أبوابها للجيوش الاسلامية حتى سواحل البحر. و يفر «جوسـتنيان» من منفاه «سـينوب» و يعود الى عرشه بمعونة البلغار [صفحه ۱۳۸] و الوليد يطرد حاكم المدينة المنورة من منصبه، و يأمر بايقافه للناس للاقتصاص منه... أشرقت شمس ذلك اليوم لتعلن بدء يوم جديد خرج الناس زرافات زرافات ينظرون الى الزمن كيف يقهر.. هـا هو «هشام المخزومى» الـذى ما ترك أحـدا الا اضـطهده و صب حقـده على بقيـة آل محمـد. و مر رجل تقدم من الحراس المحيطين بالحاكم السابق فقال و أشار الى هشام: - ان هذا ضـربنى سوطين ظلما. - و هل يشـهد لك أحد؟ - نعم.. هـذان. - اذن تقـدم و اقتص منه. و هوى الرجـل فلوح بسوطه مرتين. تـأوه «هشـام» و تمتم: - مـا أخـاف الا من على بن الحسـين فطالما أسأت اليه. تقدم رجل آخر فقال: - ان هذا بصق فى وجهى دون حق. - و الشـهود. - هذا و هذا - ابصق فى وجهه اذا شـئت. [صفحه ۱۳۹] وقف الرجل و جمع ما استطاع من لعابه ليقذف به وجه «هشام». رفع كفا ترتجف و مسح وجهه و تمتم بحزن: - كل هذا يهون... ترى ماذا سـيفعل بى على بن الحسين اذا حضر.. لاح من بعيد الرجل «السجاد» «ذو النفثات» كان يمشى الهوينى فى طريقه الى المسـجد حيث أوقف المغضوب عليه للاقتصاص. تصاعدت دقات قلب «هشام».. أضـحت كطبل أفريقى يرسل صـيحات اسـتغاثة. قال على لابنه عبدالله: - ان هذا الرجل قد عزل و أوقفه «الوليد» للناس فلا يتعرض له أحد بسوء. تعجب الابن: - و لم يا أبت... لطالما أساء الينا.. و هذا ما نبغيه اليوم. التفت الأب الى ابنه و هو يعظه: - يا بنى نكله الى الله. و لما أصـبح السـجاد بمحاذاته و استعد «هشام» للحظة الانتقام اذا به يسمع شيئا لم يخطر على بااه. قال السجاد: - اذا احتجت الى مال يطلبه أحد منك فلدينا ما يسعك فلا تقلق.. و طب نفسا منـا و من كـل من يطيعنـا. [صـفحه ۱۴۰] أحـدثت الكلمـات دويـا فى نفسـه حـتى ان المرء ليمكنه أن يرى أصـداء الانهيـارات و هى تنعكس فى عينيه و فى قسـمات وجهه. هتف «هشام»: - الله أعلم حيث يجعل رسالته. و أخـذ «ذو الثفنات» سـمته نحو المسـجد... و قد التفت حوله جموع المؤمنين. و تدفق شلال الصلاة فى مسجد النبى يصلى فيه حفيده. [صفحه ۱۴۱]

و سلاحه البكاء (۳۷)

- ألاـ تـذهب الى المسـجد يا أبى؟! قالت الصبيـة لأبيها الشـيخ... تمتم و مياه الوضوء تتقاطر من وجهه: - والله يا بنيتى انى لأخجل من نفسـى.. - و لم؟ - لقـد رأيت فى ظهيرة اليوم مـا لم أره و لن أراه. - و مـا رأيت يا أبه؟ - رأيت الحسن بن الحسن. - السـجين الـذى انهالوا عليه بالسـياط فى مسـجد النبى قبل شـهرين. - أجل... رأيته اليوم يقف على رأس ابن عمه على بن الحسـين... فشـتمه و أسـمعه سيئ الكلام... والله لوددت أن أصـفعه. - و ماذا حصل؟ - لا شئ، أطرق «السجاد» و لم ينبس ببنت شفة اجلالا لمسجد [صفحه ۱۴۲] جده سكت الشيخ هنيهة و استأنف حديثه: - فلما غادر الحسن المسجد، رفع على رأسه و نظر الينا. كنا جميعا ساكتين... و عرف ما فى قلوبنا من رغبة فى أن يرد له الصاع صاعين... و فرحنا عندما قال لنا: قد سـمعتم ما قال الرجل و أنا أحب أن تنهضوا معى حتى تسـمعوا ردى عليه. فنهضـنا معه و انطلقنـا نحث الخطى الى منزل الحسن و هتف «السـجاد» بـابن عمه فخرجت جاريـة تسـأل عن الطـارق فقال:

قولی له علی بن الحسین فخرج الینا متوثبا عیناه تقدحان شرا مستطیرا. - و ماذا حصل یا أبی؟ - أمر عجیب یا بنیتی. لقد ورثوا مکارم الخلق عن جدهم.. لم یزد علی أن قال له: یا أخی انک قد وقفت علی آنفا و قلت و قلت.. فان کان الذی قلته حقا فأنا استغفر الله منه و ان کان باطلا- ما قلت فغفر الله لک.. - یا لهذا الحلم! فماذا قال الحسن؟ - یا بنیتی والله رأیته یرتجف و قد سقطت العصا من یده و تصبب جبینه عرقا.. لکأن الأرض تهتز تحت قدمیه... و رأیته یبکی مثلما یبکی الأطفال.. ثم ألقی بنفسه علی ابن عمه و قال: أجل والله قلت فیک ما لیس فیک و أنا أحق به. قال السجاد و هو یقبله: [صفحه ۱۴۳] - أعرف انما دفعک الی ذلک الحاجة. و أخرج من جیبه صرة فیها ألف دینار و ناولها ایاه. و سمعته لما عدنا الی المسجد یقول: ما تجرعت جرعة أحب الی من جرعة غیظ لا اکافئ بها صاحبها. ظلت الصبیة مأخوذة بما تسمع. و تمتمت: - هذه والله مواعظ الأنبیاء. راحت الفتاة تراقب والدها و هو یلج عالم الصلاة و یرفع کفین معروقتین الی خالق السموات و الأرضین الله رب العالمین. ارتفعت طرقات علی الباب... و خفت الفتاة لتعرف الزائر.. کانت النجوم قد اجتمعت فی السماء؛ هتف الطارق: - أنا علی بن الحسین. صاح الشیخ فی حجرته: - واسوآتاه ظننی مریضا فجاء یعودنی. و انطلق الشیخ لاستقبال رجل ما علی وجه الأرض شبیه له. ملأت رائحة الطیب فضاء البیت لکأن الربیع قد حل ضیفا عندهم همس السجاد و قد أضاءت ابتسامة وجهه الحزین: - أقلقنی غیابک أباخالد. لم یجد الشیخ ما یقوله فنهض یقبل جبین ضیفه العظیم. ملأ رئتیه من عبیر النبوات. و هتف مأخوذا: - الله أعلم حیث یجعل رسالته. [صفحه ۱۴۴]

و سلاحه البکاء (۳۸)

دمشق تصطخب بأسواق النخاسة و آلاف العذاری من أجناس بشریة عدیدة معروضة للبیع و نظرات جائعة مشتهیة تتصفح وجوها جمیلة تشوبها ذلة السبی و حزن فراق الأحبة. فتیات من بلاد ماوراءالنهر من «سمرقند» و «بخاری» و بربریات من «طنجة» و «القیروان» و حسناوات من «أرض روم» و «سوسنة» و... و.. و قد عبر طارق البحر تحمله سفن عربیة و اخری «سبتیة» فیرسو عند شواطئ جبل «کالبی» و یتخذ الجبل اسم الفاتح الجدید... السفن تشق میاه المحیط فتفتح «الجزیرة الخضراء» ثم «قرطاجة» ثم تقتحم البر الاسبانی لتسقط «طلیطلة» عاصمة الدولة القبطیة، و الخیول العربیة تغسل اقدامها فی شواطئ البوسفور. و دمشق تستقبل قوافل السبی لتنضم الی أسواق النخاسة هندیات لهن عیون المها. قصر الخضراء یتألق فی غمرة القنادیل المضیئة، فالمجد للسیف [صفحه ۱۴۵] و الحصان، و طبول الحرب. کانت أنغام الموسیقی تفتن علیة القوم و النفوس نشوی تطیر فی عالم الخیال... عالم یصنعه عصیر شفاف مشوب بحمرة رائقة تدب فی الرؤوس کدبیب النمل... فیغفو العقل و تحلق النفوس فی عوالم مسحورة زاخرة بالأوهام. ولکن ما باله الخلیفة هذه اللیلة... یکاد یضیق بما حوله و بمن حوله... ألا یعجبه منظر الجواری یرفلن بالحریر الملون.. و هذه الخمرة الرومیة و رائحة الشواء... و تلک الحلوی الفارسیة. فغر الحاضرون أفواههم و قد سمعوا الخلیفة یطلب مصحفا، توقفت الموسیقی عن ارسال أنغامها، و جمدت الجواری فی أماکنها و ساد القصر و جوم غریب. جاء الحاجب یحمل مصحفا مذهبا مرصعا بالجواهر و وضعه بین یدی «الولید». فتح الرجل الذی لم تسکره الخمرة بعد المصحف، فوقعت عیناه علی أول آیة و صدح القرآن بصوت الحق «و استفتحوا و خاب کل جبار عنید». شعر الولید بأن الکلمات تغوص فی أمعائه کسیوف حادة... ریح مجنونة تعصف برأسه. صرخ خلیفة المسلمین: - اصلبوه! أمسک الجلاوزة بکتاب السماء.. [صفحه ۱۴۶] صلبوه الی اسطوانة فی وسط البلاط. ها هو فرعون یسخر من موسی.. یلتفت الی هامان: - «فأوقد لی یا هامان علی الطین فاجعل لی صرحا لعلی أطلع الی اله موسی و انی لأظنه کاذبا». و ارتقی فرعون صرحا عالیا. حمل معه قوسه فلما ان بلغ الذری، وضع فی کبد القوس سهما و أطلقه باتجاه السماوات!! «الولید» یضع فی کبد القوس سهما و یسدد باتجاه القرآن المصلوب، و تنهال السهام.. و تتناثر آیات القرآن فوق رخام البلاط.. کان الولید مفتونا بما یفعل و هو ینشد بصوت یشبه فحیح الأفاعی: تهدد کل جبار عنید فها أنا ذاک جبار عنید اذا لاقیت ربک یوم حشر فقل یا رب مزقنی الولید فی الصباح لبس الولید ثیاب الخلافة، و وقف یودع أخاه «هشاما» أمیرا علی الموسم... و ابتعد الموکب عن أسوار دمشق فی طریقه الی الحجاز و لم

ینس «الولید» أن یدس معه رجالا ـ فی مهمات سریة.. یحملون معهم مرکبات مستحضرة فی القسطنطینیة باهضة الثمن کان معاویة یحرص علی استیرادها دائما. [صفحه ۱۴۷]

و سلاحه البکاء (۳۹)

قوافل الحجاج تنساب فی بطون الأودیة، لکأنها تصغی الی نداء ابراهیم؛ الکتل البشریة تتدفق صوب أول بیت وضع للناس، و موسم هذا العام موسم زحام بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و نسی الناس أو کادوا ذکریات حزینة، أو دفنوها فی أعماق القلوب. و تعلو فی الآفاق نداءات الحریة للانسان عندما یعبدالله وحده و تهتف الحناجر الآدمیة: لبیک اللهم لبیک... لبیک لا شریک لک لبیک..ان الحمد و النعمة لک و الملک لا ـ شریک لک... و تطفو الکعبة فی بحر الأمواج البشریة و هی ترفل بثیاب الحج البیضاء کحمائم السلام. و هنا یدرک الانسان أن لا ـ اله الا الله... لا رب سواه و ان الناس سواسیة لا فضل لعربی علی أعجمی الا بالتقوی... فیصغی المرء الی کلمات الله و هی تتدفق فی قلب الانسان: «یا أیها الناس انا خلقناکم من ذکر و انثی و جعلناکم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أکرمکم عندالله أتقاکم» فتتهاوی الحواجز و تتلاشی الامتیازات و تتمزق الحجب و اذا المسلم أخو المسلم حقا و اذا القلوب تتطهر من [صفحه ۱۴۸] أدران الشرک. کان «هشام بن عبدالملک» یطوف حول الکعبة لا یکترث له أحد و لا یهابه انسان حوله رجاله من أهل الشام... بذل هشام کل ما بوسعه فی استلام الحجر الاسود ولکن الأمواج البشریة کانت تصده فی کل مرة فیرجع خائبا. بان الحنق فی عینه الحولاء. ألقی بنفسه علی کرسی فی ناحیة من الحرم و جلس ینظر و ینتظر انحسار الأمواج البشریة؛ شعر بأنه لیس شیئا فی هذا المکان، و بدا له الحجر الأسود بعیدا.. بعیدا جدا. و أقبل رجل قد اجتاز الخمسین من السنین، و کان وجهه یضیئ کقمر بین الغیوم.. و حدث أمر عجیب . تناثرت أسئلة و ارتسمت علامات استفهام. تساءل شامی و هو یتطلع الی رجل یرفل بحلته البیضاء الناصعة نصاعة الثلوج فی جبال الشام. – من هذا الرجل الذی ینفرج له الناس کملک عظیم؟! و هتف بأصحابه: – انظروا.. انظروا.. انه یشق طریقه بیسر الی الحجر الأسود. قبل الرجل ذی الوجه المضیئ الحجر الأسود و استأنفت الأمواج البشریة تدافعها من جدید. التفت الشامی الی خلیفة المستقبل: – من هذا؟! [صفحه ۱۴۹] رد الأحول بغیظ: – لا أدری. وحده القدر یفسر مرور الشعراء فی لحظات یتوقف عندها التاریخ باجلال. هتف الفرزدق: – ولکنی أدری من هو. تساءل الشامی بشوق: – و من هو یا أبافراس؟ فأنشد: هذا الذی تعرف البطحاء و طأته و البیت یعرفه و الحل و الحرم هذا ابن خیر عباد الله کلهم هذا التقی النقی الطاهر العلم هذا ابن‌فاطمة ان کنت جاهله بجده أنبیاء الله قد ختموا اذا رأته قریش قال قائلها الی مکارم هذا ینتهی الکرم یکاد یمسکه عرفان راحته رکن الحطیم اذا ما جاء یستلم و لیس قولک من هذا بضائره [صفحه ۱۵۰] العرب تعرف من أنکرت و العجم. استشاط هشام حقدا.. و بدت عینه الحولاء تتراقص فی محجرها. و تخطفت الجلاوزة شاعرا نفث روح القدس علی لسانه.. و سیق الشاعر مخفورا الی السجن فهذا زمن مصنوع من خشب و نحاس... زمن لا یعرف للکلمة حرمتها.. زمن غابت فیها الآیات وراء القضبان. [صفحه ۱۵۱]

و سلاحه البکاء (۴۰)

کانت الریاح شتائیة باردة و اللیل یغمر بظلمته المدینة. الأزقة مقفرة و قد أوی الناس الی النوم، ما خلا بیوت متواضعة کان الضوء یرسل أشعته الواهنة من کوی صغیرة فیها؛ و خلف أبوابها کانت آذان تترقب قدوم «صاحب الجراب». تساءل «ابن‌شهاب» و هو یری رجلا یمرق فی الظلام، کان الرجل ملثما ولکنه عرفه؛ ولکن ما دعاه الی الخروج فی الساعة من اللیل، کان «ابن‌شهاب» عائدا من قصر «الوالی». هتف «الزهری»: – یابن رسول الله! ما هذا؟! عدل «حامل الجراب» جرابه و أجاب: – أرید سفرا و هذا زادی. تعجب «ابن‌شهاب». – دع غلامی یحمله عنک اذن. رفض «السجاد» و حاول «الزهری» أن یأخذ الکیس عنه. – دعنی أحمله أنا.. [صفحه ۱۵۲] – انه زادی و أنا أحق بحمله... اسألک بحق الله أن تترکنی و تمضی. و غاب «صاحب الجراب» فی زقاق ملئ باللیل و البرد. عدل

من لثامه و طرق بابا صغيرة و وضع شيئا ثم مضى... و توقف أمام بيت يكاد جداره أن ينهار. نقر على الباب و ترک شيئا على عتبته ثم استأنف طريقه فی الأزقة و البرد و الظلام. و مرت ساعات عاد بعدها «صاحب الجراب» بلا جراب، كانت النجوم تشتد بريقا فی السماء و قد انفتحت نوافذ الملكوت. و لج السجاد محرابه... و تدفق نبع من الصلاة فقد آن لقاء الحبيب مع محبوبه.. و انساب نهر من كلمات الانسان و هو يشدو بحب بارئ الخليقة: - الهی من ذا الذی ذاق حلاوة محبتک فرام منک بدلا؟ و من ذا الذی أنس بقربک فابتغی عنک حولا؟ الهی فاجعلنا ممن اصطفيته لقربک و ولايتک و أخلصته لودک و محبتک و شوقته الی لقائک و رضيته بقضائک و منحته بالنظر الی وجهک و حبوته برضاک و اعذته من هجرک و قلاک و بوأته مقعد الصدق فی جوارک... [صفحه ۱۵۳] و خصصته بمعرفتک... و أهلته لعبادتک... و همیت قلبه لارادتک... و اجتبيته لمشاهدتک... و أخليت وجهه لک... و فرغت فؤاده لحبک... و رغبته فيما عندک... و ألهمته ذكرک... و أوزعته شكرک... و شغلته بطاعتک! و صيرته من صالحی بريتک... و اخترته لمناجاتک... و قطعت عنه كل شیء يقطعه عنک. الهی! اجعلنا ممن دأبهم الارتياح اليک و الحنين... و دهرهم الزفرة و الأنين... جباههم ساجدة لعظمتک... و عيونهم ساهرة فی خدمتک... و دموعهم سائلة من خشيتک... و قلوبهم متعلقة بمحبتک و أفئدتهم منخلعة من مهابتک... [صفحه ۱۵۴] السماء تكتظ بالنجوم و قد تكاثفت ظلمة الليل فانطلقت استغاثة قلب الانسان عندما تنفتح أبواب الملكوت: - يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة! و سبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة! يا منی قلوب المشتاقين! و يا غاية آمال المحبين! اسألک من حبک و حب من يحبک! و حب كل عمل يوصلنی الی قربک و ان تجعلک أحب الی مما سواک و ان تجعل حبی اياک قائدا الی رضوانک و شوقی اليک ذائدا عن عصيانک و امنن بالنظر اليک علی و انظر بعين الود و العطف الی و لا تصرف عنی وجهک و اجعلنی من أهل الاسعاد و الحظوة عندک يا مجيب. يا أرحم الراحمين. العينان تسحان الدموع.. دموع الحب الالهی المفتون.. كسماء تمطر علی هون.. تغسل الأشجار و الأرض فتهتز و تربو... و الدموع تغسل قلب الانسان فيشرق بنور ربه و ينبض بالحب و الأمل و السلام. [صفحه ۱۵۵]

و سلاحه البكاء (۴۱)

- ماذا أری؟ هتف الزهری و قد وقعت عيناه علی «السجاد» بين المحراب و المنبر و أردف و هو يحث الخطی اليه: - ألم يخبرنی بأنه علی سفر؟! أوما مسلما و هتف: - يابن رسول الله لست أری لذلک السفر أثرا؟! تمتم السجاد بخشوع من أوشک علی الرحيل عن الدنيا: - بلی يا زهری... ولكن ليس كما ظننت، انما هو سفر الآخرة. - و المتاع الذی كنت تحمل لم يكن غير صدقات للفقراء؟ و تمتم متأثرا و هو يبتعد: - نعم السفر سفرة الآخرة و خير الزاد التقوی. انتحی الزهری زاوية من المسجد و كان ما يزال متأثرا، قال صاحب له: - انک لا تفتأ تذكر علی بن الحسين بخير. [صفحه ۱۵۶] التفت الزهری و قد شم رائحة تملق. - ويحک يا هذا والله لم أر و لن أری مثل علی بن الحسين ما حييت... لقد رأيته مقيدا بالحديد و قد أحدق الحراس به يريدون ارساله الی دمشق بأمر عبدالملک؛ فاستأذنتهم فی وداعه فلم أملک نفسی عن البكاء فبكيت و قلت له: وددت انی مكانک و أنت سالم فرفع بصره الی و قال: - يا زهری أتظن ان ما ترى علی و فی عنقی يكرثنی، أما لو شئت لما كان، و انه ليذكرنی عذاب الله. التفت الزهری الی صاحبه و قال: - أتصدقنی لو قلت لک لقد رأيته يخرج يديه و قدميه من القيود لكأنها خيوط عنكبوت!! فما مضت أربع ليال حتی عاد الجنود يبحثون عنه فی المدينة فسألت أحدهم عما حصل فقال: فقدناه و لم نعثر له علی أثر و وجدنا القيود و الأغلال فی مكانه. هتف الرجل: - أمر عجيب. - و أعجب منه هوانی لما قدمت بعد ذلک علی عبدالملک و أخبرته بما رأيت قال: لقد جاءنی يوم فقده الحراس فدخل علی و قال: ما أنا و أنت؟ فقلت له: أقم عندی فی الرحب و السعة. [صفحه ۱۵۷] فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ قلبی منه رعبا. و حدثنی طاووس مرة قال: رأيت رجلا يصلی فی المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو و يبكی، فجئته حين فرغ من الصلاة فاذا هو علی بن الحسين فقلت له: يابن رسول الله أتخاف و لک ثلاثة: أنت ابن رسول الله، و شفاعة جدک و رحمة الله؟ فقال: يا طاووس أما

النسب فان الله تعالى يقول: فلا أنساب بينهم يومئذ، و أما الشفاعة فان الله تعالى يقول: لا يشفعون الا لمن ارتضى. و أما رحمة الله فان الله عزوجل يقول: انها قريبة من المحسنين. و لا أعلم انى محسن. و أردف الزهرى و هو ينهض للصلاة: - و لقد مضت عليه عشرون سنة و هو يبكى أباه و يقول: انما أشكو بثى و حزنى الى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون. و الله ما رأيت قرشيا أفضل من على بن الحسين. و تمر الساعات بطيئة: فى ليلة تسمرت النجوم فى سمائها. و لم تغمض عيون المدينة... الرياح الباردة تجوس الأزقة... تعوى و هى تطرق الأبواب.. و النوافذ. حتى اذا طلع الفجر... سكن كل شىء و قد انطفأت النجوم و انبعثت صرخة فى قلب الغبش الرمادى لقد رحل على بن الحسين؛ و عندها عرف الناس هوية الرجل [صفحه ۱۵۸] الذى كان يجوس أزقة المدينة فى الليل و يهب الفقراء الفرحة و الدفء و الأمل. و لما انثالت عليه المياه.. رأى الناس على ظهره مثل ركب الابل. سأل رجل مدهوشا: - ما هذا؟ أجاب حفيد له: - لقد كان يحمل على ظهره جرابا كل ليلة فيطوف منازل الفقراء. بكى الرجال بمرارة. لقد رحل السلام فالمدينة يلفها برد و ظلام... و عامنا عام حزن. كانت المدينة تبكى بصمت.. تبكى رحيل الأشياء الملونة. لم يبق منها سوى طيوف تحلق فى سماء الذكريات. و فى دمشق تقام الأفراح... و الوليد الملك السعيد يتلقى أنباء بهيجة... فمملكته تتوسع شرقا و غربا و كنوز المدن المقهورة تتدفق صوب دمشق؛ غير مكترث لما حل بانطاكية و فد دمرتها الزلازل. ولكن هل يتوقف التاريخ عند هذه النهاية؟! - «كلا اذا دكت الأرض دكا دكا.. و جاء ربك و الملك صفا صفا.. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان، و أنى له الذكرى.. يقول: يا ليتنى قدمت لحياتى.. [صفحه ۱۵۹] فيومئذ لا يعذب عذابه أحد.. و لا يوثق وثاقه أحد.. يا أيتها النفس المطمئنة.. ارجعى الى ربك راضية مرضية.. فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى.. كمال السيد ۳ ذو الحجة ۱۴۱۶ هـ

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ –

فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جِهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.